الاستدلال العقلي عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- دراسة تحليلية

د. عامر سلامه فلاح الملاحمة

مساعد عميد كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة العلوم الإسلامية العالمية - الأردن

الاستدلال العقلي عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- دراسة تحليلية

د. عامر سلامه فلاح الملاحمة

ملخص البحث

كُثر الحديث حول مسألة العقل وحجيته في العقائد والمعارف عند السلف، فجاءت هذه الدراسة لبيان دوره وحجيته فيها عندهم من خلال دراسة علم من أعلامهم وهو مِن خير مَن مثل منهج السلف وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ورداً على ما نُسب إليه من القول برفض العقل ودوره في المعارف والعلوم. وغلب على منهج الدراسة المنهج التحليلي المقارن بعد استقراء نصوص الشيخ وجمعها. أما الإمام فهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني، تقي الدين أبو العباس. ولد في العاشر، وقيل في الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٦٦١هـ بحران، توفاه الله عز وجل مسجوناً في العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ. وبعد البحث تبيّن أن الشيخ قد أخذ بمنهج القرآن والسنة في الحديث عن العقل، حيث جاءت النصوص الدينية تُشير إلى وظيفة العقل دون الإشارة إلى كنهه وكيفيته. وقد وردت اشتقاقات لفظ (العقل) في القرآن تسعاً وأربعين مرة. وبعد الدراسة توصل الباحث إلى عدة نتائج، منها:

١- أن حديث القرآن عن العقل جاء لبيان الدور الوظيفي له وهو التكليف الشرعي.

٢- أن خطاب الأنبياء عليهم السلام جاء بما يوافق صريح المعقول، فهم لم يأتوا بمحالات العقول، بل بمحارات العقول، فهم أعقل البشر.

٣- لم يرفض شيخ الإسلام ابن تيمية العقل، إنما رفض مذاهب الفلاسفة حين اعتبروه جوهراً مستقلاً له سلطة مطلقة.

٤- لا تعارض عند الشيخ بين صريح المعقول وصحيح المنقول، فالأدلة العقلية السليمة عنده أدلة شرعية ملزمة، حجة في كثير من مسائل العقائد، وفي الرد على المخالفين والدعوة إلى الله، ومسائل الطبيعيات.

٥- ضرورة صون العقل عن البحث في مسائل الغيب المطلق التي ليست من مجالاته.

٦- أن هجوم الشيخ على مذاهب الفلاسفة في العقل، ليس قدحاً في العقل، وإنما هو نقد لما قدموه باسم العقل من نظريات فاسدة مخالفة لأصول الدين، كما هي مخالفة للعقل الصريح، كنظرية الفيض مثلاً. وهناك نتائج كثيرة مدونة في البحث.

intellectual inference made by shaik al- islam ibn taymiyyah- analytical study

Abstract of the Study

Many discussions have been rising about the issue of the intellect and the authoritative that the intellect involves in the faiths and knowledge by the predecessors. This study consideres to demonstrate the role of the intellect and the authoritative therein regarding the predecessors through the study of one of the great figures of those predecessors as the best one amongst them, he is Sheik Al Islam ibn Taymiyyah, May ALLAH bless his soul and be merciful towards him. In response to what has been attributed to him; that he refused the intellect and its role in knowledge and science, the study is dominated by the comparative and analytical methodology after inducting and examining the texts collected from the Sheik writings. Al Imam Ahmad Ibn Abdul Halim Ibn Abdul Salam Bin Abdulla, who was born on 661 AH at Harran, died imprisoned therein on the year 728 AH, rejected the doctrines of the philosophers in the issues attributed to the intellect.

After the study has been made, the researcher has found the following conclusions:

1. Obviously the Koran is stating about the intellect in terms of the functional role being assumed to it, it is the forensic commissioning.
2. The Sheik did not reject intellect, but he rejected the doctrine of the philosophers where they considered it an independent substance owns absolute power.
3. There is no opposition where Sheikh expressly assured that, between the explicit intelligible of reasonable issues and the proper narratives, yet both, intellect and proper narratives, are mutually supportive in the matters of auriculars and intellectual in terms of religious evidences.

4. The proper and sound mental evidences are legitimacy binding evidences religious wise, and being an argument in some faith issues, as well as a response to some offenders, also a call for righteous, to ALLAH's way, and in the issues of natural science as being explicitly stated in this study.
5. The need to safeguard the intellect in the substances of searching and running behind absolute unseen issue that are not within the scope of the intellect.
6. Meantime there are many other findings being stated in this research.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

لقد ظهر البحث في العقل ومتعلقاته كمشكلة شغلت حيزاً كبيراً في مجامع المتكلمين والمدارس الفلسفية، فآمن به بعض أهل العقول المريضة التي قادها الهوى والتقليد والتعصب إيماناً مطلقاً، ومنحوه السلطة المطلقة على النص الصحيح من قرآن أو سنة، فأولوا الآيات التأويل الفاسد، وأنكروا ما ثبت بالنص الصحيح في أمهات المسائل العقدية، مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالرؤية، والصفات الإلهية وغيرهما؛ لأن العقل عندهم يُحيل ذلك وهذا باطل.

ذهبت الفلاسفة في تعريف العقل مذاهب مخالفة لأصول الدين وأحكامه، فاعتبرته جوهراً مستقلاً، وله سلطة البحث في كافة المجالات وكل العلوم والفنون، حتى أقحموه في مسائل الغيب المطلق، وآمنوا بكل ما جاء عنه، فردّ السلف الصالح هذه المذاهب الفلسفية في البحث في العقل وأخذوا بما جاء في نصوص القرآن والسنة عن العقل، فالعقل ليس محل اتهام وإنما طريقة استخدامه، فلم يأت في الشرع ما يذم العقل أو التحاكم إليه، بل جاء مدحه ومدح التحاكم إليه، فالعقل لا يأت إلا بكل خير ولا يكون إلا موافقاً للشرع، وإنما المشكلة في اتباع الأهواء والظنون. ولم تبحث آيات القرآن في كنه العقل وكيفيته بالرغم من أنه ذُكر فيه اشتقاقات لفظ (العقل) تسعة وأربعون مرة، إلا أنها لم تأت لفظة منها للدلالة على كنه العقل، ولم تتحدث عنه كعضو أو جوهر مستقل، وإنما أشارت للوظيفة التكليفية له بلفظ: (تعقلون)، (يعقلون)، (يعقلها)، وهي ما أشارت إليه بألفاظ أخرى، مثل: (تذكرون)، (انظروا)، (تفقهون)،فدعا العقول للنظر والتفكر في الكون بكل ما فيه وتعقل أسرار خلقه

وعظمتها، والاعتبار بالأمم السابقة، فجاء الخطاب القرآني ليحرر العقول من التقليد، فخاطب العقل والحواس وعاب على من عطلها، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ الأنفال: ٢٢.

ظن البعض أن السلف يرفضون العقل وحجيته السليمة، ونسب ذلك إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وقيل: إنه يرفض العقل وينكر دوره في المعارف والعقائد، وهذا غير صحيح لما قام عليه الدليل من نصوص صريحة في إثبات دور العقل وحجيته عند الإمام وأخذه بالمنهج القرآني، ولم تختلط عليه الصلة بين النص والعقل. ولقد اهتم الباحثون في الفكر الإسلامي بتراث شيخ الإسلام قديماً وحديثاً في معظم جوانبه، فحظى تراثه بمزيد من العناية من الأتباع والخصوم، فظهرت كتابات حول جهود الشيخ في التفسير والفقه والحديث والفلسفة والمنطق والتصوف وغير ذلك كثير.

فالعقل عنده هو الذي يتأمل ويفكر وينظر ويصل إلى الحق والخير، ويفسد الشبه العقلية بالبراهين العقلية اليقينية، فليس مناقضاً للنص الصحيح، بل هو وسيلة لإدراك وفهم النصوص، وهو مناط التكليف، فلا تكليف إلا بعد اكتماله ونضوجه، ولم يجعل العقل جوهراً أو عضواً مستقلاً، بل اعتبره صفة مميزة للإنسان، أو غريزة فيه للإدراك، كما هو الحال في منهج السلف. وقد كان شيخ الإسلام على علم بالمدارس الفلسفية اليونانية وفلاسفة المسلمين، فجادلهم بصريح العقل، والفطرة السليمة، والنقل الصحيح، فعرض فلسفاتهم بكل أمانة، ونقدها بكل موضوعية وبراهين عقلية سليمة موضحاً بُعدها عن برهان العقل السليم، وأشار إلى الأدلة اليقينية من خلال الآيات ليبين أنها أدلة عقلية يقينية، فوقف من العقل موقفاً وسطاً، فاعتبره أداة للمعرفة وإن لم يسلّم بكل ما جاء به العقل، كما أنه لم يقبل كثيراً من الأدلة النقلية

غير الصحيحة، فأشار في مؤلفاته إلى أن أهل الحق لا يطعنون في جنس الأدلة العقلية، ولا فيما عَلِم العقل صحته، وإنما يطعنون فيما يدعي المعارض أنه يخالف الكتاب والسنة. فالعقل السليم يتفق مع الأدلة النصية، فكما جاءت النصوص تقرر المصالح وتدرأ المفاسد، جاء العقل يقررها كذلك؛ لذا جعلت الشريعة حفظ العقل من أوائل مقاصدها. ولقد أولى رحمه الله هذ القضية أهمية كبيرة في مؤلفاته جميعاً، وخير مثال على ذلك هو مؤلَفه الذي جاء في صلب هذه المسألة وهو (درء تعارض العقل والنقل)، كذلك في كتبه: الصفدية، والتدمرية، ومنهاج السنة، وغيرها.

أهداف الدراسة وتساؤلاتها:

تمثلت أهمية البحث في موضوعه ومتعلقاته، حيث يشكل العقل المقدمة الأولى للعلوم والمدخل لها، وعلاقته بالعالم المحسوس، وعالم الغيب. وما يميز هذه الدراسة أنها جاءت دراسة نصية من خلال كتب الشيخ كما هو واضح من خلال مصادر البحث ومراجعه، والغرض من ذلك إظهار مكانة العقل ودوره المعرفي من خلال ذكر نصوص الشيخ فيُرد على من اتهم الشيخ بخلاف ذلك. كما جاءت الدراسة للإجابة عن مجموعة من الأسئلة، منها:

١- هل ما نسب للسلف الصالح من رفضهم للعقل وإنكار حجيته صحيح؟

٢- هل رفض ابن تيمية رحمه الله العقل؟

٣- ما العلاقة بين الدلالتين العقلية الصريحة والنقلية الصحيحة؟

٤- كيف تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية عن العقل ووظيفته؟

٥- ما هو دور العقل في العقائد والدعوة إلى الله والرد على أهل البدع والفلسفات؟

منهج البحث: بما أن الدراسة جاءت نصية تحليلية في كتب شيخ الإسلام رحمه الله، فقد قمتُ ببذل جهد في قراءة كتب الشيخ وجمع النصوص المتعلقة بمفردات البحث، ثم

قمتُ بتبويب تلك النصوص في مباحث خاصة، ثم تحليلها مستنبطاً منها بعض الأحكام، وموضحاً موقف شيخ الإسلام من العقل وحجيته. فغلب على منهج الدراسة بعد جمع النصوص المنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي، والمنهج النقدي المقارن عند مقارنة موقف الشيخ بآراء الفلاسفة، ونقد تلك الآراء بصحيح المنقول وصريح المعقول.

محتوى البحث: جاء البحث في أربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث التمهيدي: جاء تعريفاً بنسب ابن تيمية، وسيرته، وأهم الظروف التي أحاطت به.

المبحث الأول: العقل وحجيته عند شيخ الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العقل.

المطلب الثاني: مكانة العقل في الإسلام.

المطلب الثالث: حجية الدليل العقلي عند شيخ الإسلام وعلاقته بالدليل النقلي.

المبحث الثاني: حجية المعرفة العقلية في العقائد عند شيخ الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دور المعرفة العقلية في مسائل الإلهيات عند شيخ الإسلام.

المطلب الثاني: دور المعرفة العقلية في مسائل النبوات عند شيخ الإسلام.

المطلب الثالث: دور المعرفة العقلية في مسائل السمعيات عند شيخ الإسلام.

المبحث الثالث: دور المعرفة العقلية في الدعوة إلى الله عز وجل والرد على المخالفين، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دور المعرفة العقلية في الدعوة إلى الله عز وجل عند شيخ الإسلام.

المطلب الثاني: دور المعرفة العقلية في محاجة الفرق عند شيخ الإسلام.

المطلب الثالث: دور المعرفة العقلية في محاجة أهل الأديان عند شيخ الإسلام.

المطلب الرابع: دور المعرفة العقلية في محاجة الفلاسفة عند شيخ الإسلام.

ثم ختم البحث بأهم النتائج والتوصيات وبقائمة المصادر والمراجع.

المبحث التمهيدي: سيرة شيخ الإسلام[١].

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، تقي الدين أبو العباس. ولد في العاشر، وقيل في الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مائة بحران.

ونشأ في بيت دين وعلم وفضل وأدب، من أبيه إلى جده، حيث كان والده من كبار علماء حران فقيهاً وخطيباً، وكذلك كان جده عبد السلام بن عبدالله، له تصانيف في الفقه والتفسير.

تحول به أبوه من حران سنة سبعين وست مائة إلى دمشق، فسمع من أبي عبد الدائم، والقاسم الأربلي، والمسلم ابن علان، وخلق كثير. وعني بالحديث، ونظر في الرجال وعلل الحديث. وسائر علوم الإسلام عامة، وأفتى وفاق أقرانه.

تولى القضاء والإفتاء، وترك المصنفات الكثيرة، التي تُعد كنوزاً في أبوابها المختلفة، مثل: مجموعة الفتاوى، منهاج السنة النبوية، درء تعارض العقل والنقل، والرد على المنطقيين. وما يميز تلك المصنفات أنها كتابات متخصصة في أبوابها، كتبت بدقة وإتقان. وجلس للتدريس مبكراً قبل أن يتجاوز الحادية والعشرين من عمره، حتى أصبحت له مدرسةً تعد من أشهر المدارس العقدية. وله تلاميذ كُثُر من أشهرهم: المزي محدث الديار الشامية (ت٧٤٢هـ)، والحافظ شمس الدين المقدسي(ت٧٤٤هـ)، وغيرهما.

وامتحن رحمه الله، وأوذي مرات، وحبس بقلعة القاهرة، والإسكندرية، وبقلعة دمشق مرتين، حتى توفاه الله عز وجل مسجوناً بها في العشرين من ذي القعدة سنة ثمانية وعشرين وسبع مائة، ودفن بمقابر الصوفية، وكان الاحتفال بجنازته عظيماً[٢].

وكانت للشيخ جهود مباركة في الدفاع عن الإسلام، وتجلى ذلك بصورة جهاده في ساحات القتال ضد التتار، ومن ذلك ما ذكره ابن كثير من أحداث عديدة يشير فيها إلى جهاد شيخ الإسلام، ومنها وقعة قازان سنة تسع وتسعين وستمائة حين هرع الناس إليه فزعاً من قِدوم قازان التتري الذي كان يعتزم دخول دمشق، فذهب إليه وقابله وأخذ الأمان منه لأهل دمشق، وكلمه كلاماً شديداً فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين[٣].

وإن قتاله بالسيف لا يعني انفصاله عن جهاد القلم حيث قاتل بالكلمة والقلم فجاهد مذاهب الكفر والإلحاد، وحارب البدع والضلالات والتيارات الفكرية والفلسفية والمنطقية المخالفة، متسلحاً بسلاح النص الديني الصحيح، وبمنهج السلف الصالح، وبما وهبه الله من ملكة عقلية في البيان والحجة، وسرعة في البديهة، وحضور للمعلومات، وفصاحة في اللسان، وذاكرة وقادة. فكان رحمه الله كثير البحث في فنون الحكمة والدعوة والإصلاح، وشديد الاهتمام بالناحية السلوكية الذي تمثلت عنده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الملكة العقلية عنده. التي مكنته من الاطلاع على كتب المخالفين، واستيعاب أقوالهم، ومن ثم الرد عليهم. ومما أسهم في إظهار شخصية شيخ الإسلام أمور كثيرة، منها:

١- ولد الشيخ في بيئة صالحة عالمة متعلمة.
٢- كانت حران مسقط رأس الشيخ مسرحا للتيارات الفكرية والثقافية.
٣- ما قيل في حقه: أنه كان قوالاً للحق لا تأخذه في الله لومه لائم.
٤- البعد عن التعصب والهوى في الاعتقاد، فكان يشير إلى أن الاعتقاد لا يؤخذ عنه ولا عن من هو أكبر منه، بل عن الله ورسوله، وما أجمع عليه سلف الأمة.

فكان عصره في غاية الضعف والتردي بكل جوانبه، فخطر صليبي وتتري خارجي، واضطرابات وتفكك وانقسام لبلاد المسلمين إلى ممالك ودويلات، والظهور

البارز لأهل الشرائع السماوية (اليهودية والنصرانية)، وظهور الحلولية والمشبهة، والمدارس الفلسفية، فساهم ذلك في توجيه الإمام إلى ضرورة الجهاد والدفاع عن العقيدة الإسلامية أمام هذه الهجمة. فمثّل الإمام دور المصلح الذي تعلقت به رقاب الناس، فكما كان رحمه الله مع الجند بسيفه يحمسهم ويرغبهم في الجهاد، كان كذلك مجاهداً لأهل البدع والضلالات بفمه ولسانه.

٥- ٥- الملكة العقلية التي هباها الله له والتي أهلته إلى الاطلاع على كتب الفلاسفة واستيعاب مقولتهم، واقفاً على دقيق قولهم، من خلال مصادرها الأصلية، وما ذلك إلا دلالة على سلامة المنهج والموضوعية والنزاهة في النقل والعرض والنقد. كما تبرز لنا صورة الملكة العقلية الفذة للشيخ رحمه الله من خلال مؤلفاته في دراسة الأديان، حيث عرض لعقائد اليهود والنصارى كما هي عندهم لها مشيراً إليها في مصادرها، ناقلاً لها بالحجة والبرهان من المنقول عندهم والمعقول. وكذلك شأنه في عرض ديانات الشرق القديم كما نجده قد ألف في الفرق ومتحدثاً عن الأصول المذهبية للفرق والمدارس الكلامية بكل أمانة وموضوعية. ولقد أصبحت الملكة العقلية عند الشيخ من أبرز ما قيل في وصفه، يقول الذهبي :(وكان من بحور العلم، من الأذكياء المعدودين، والزهاد والأفراد والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف وسارات بتصانيفه الركبان لعلها ثلاث مائة مجلد)[٤].

ويقول ابن حجر: (نظر في الرجال والعلل، وتفقه وتمهر وتميز، وصنف ودرس وافتى وفاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار، وقوة الجنان، والتوسع في المنقول والمعقول، والإطالة على مذاهب السلف والخلف) [٥].

وجاء عن الذهبي أيضاً قوله: (كان يقضى منه العجب، إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف، واستدل ورجع وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه: وما

رأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منـه،...كـأن السـنة نصـب عينه...وكان أيه من آيات الله في التفسير والتوسع فيه، وأما أصـول الديانـة، ومعرفـة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره)[٦].

المبحث الأول: العقل وحجيته عند شيخ الإسلام.

المطلب الأول: تعريف العقل.

العقل لغة:

العَقلُ: الحِجر والنُّهى ضد الحمق، والجمع عُقولٌ. والعقل: المنع.

العَقلُ: التثبت في الأمور.

وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي: يحبسه.

العقل: هو التميز الذي به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان.

وقلب عقول: فَهِمٌ. وعَقَلَ الشيء يَعقِلهُ عَقلاً: فهمه.

العاقِلُ :الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها[٧].

وعقل البعير: إذا شد الساق إلى بقيه الذراع بحبل واحد لمنعه من الهرب.

فدلالة العقل في معناه اللغوي دلاله إيجابية، فهو حصن لمن امتلكه من الوقوع في سيء الأخلاق من قول أو عمل، جاعلاً صاحبه ذا شخصية متزنة في قولها وفعلها، قائماً على طريق الخير والصلاح بما يرشده إليه من الحق في الأمور كلها، ويجره إليه من نفع بتميزه للأمور، ويعقله عما لا يحسن من الأقوال والأفعال، والوقوع في المهالك، فيدرك الإنسان، ويتفهم كل ما له فيه نفع. فإذا كان هذا هو معنى العقل في اللغة، فما معناه في اصطلاح الفلاسفة والمتكلمين، وما موقف شيخ الإسلام منه؟

العقل اصطلاحاً:

لم يبق المعنى اللغوي للعقل هو المعنى السائد، فبرغم من أن بعضهم دار حول المعنى اللغوي إلا أن الأغلب منهم ذهبوا به في بعض الأحيان إلى معاني مخالفة لذوي العقول السليمة، فظهرت مذاهب الفلاسفة والمتكلمين في تعريف العقل متأثره بمؤثرات خارجية أحياناً وبظروف عقلية فلسفية صرفة.

فهل حُدّ[٨] العقل بحد يمكن تعريفه به أم أنه يطلق بالاشتراك على معانٍ متعددة؟

لقد أولى شيخ الإسلام تعريف العقل مساحة كبيرة واهتماماً شديداً؛ وذلك لأنه من خلال بيان معنى العقل يمكن الحديث عن حجيته في العقائد وسائر العلوم والمعارف.

ولقد ردّ رحمه الله على مذاهب الفلاسفة وبعض المتكلمين في تعريف العقل، وحتى يتبين لنا ذلك نذكر تعريف العقل عند بعض الفلاسفة، ومنها: ما جاء عن الكندي[٩]، حيث يقول: (العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها)[١٠]. ويقول ابن سينا[١١]: (العقل عنده اسم مشترك لمعاني عدة، فيقال: عقل لصحة الفطرة الأولى في الإنسان، فيكون حده أنه قوة بها يوجد التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة، ويقال عقل لما يكسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها المصالح والأغراض.

ويقال عقل لمعنى عقل: أنه هيئة محمودة للإنسان في حركاته وسكناته وكلامه واختياره. فهذه المعاني الثلاثة هي التي يطلق عليها الجمهور اسم العقل. وأما الذي يدل عليه اسم العقل عند الحكماء فهي ثمانية معاني: هو التصورات والتصديقات والحاصلة للنفس بالفطرة...فمن ذلك:

العقل النظري: قوه للنفس تقبل ماهيات الأمور الكلية من جهة ما هي كليته.

العقل العلمي: قوه للنفس هي مبدأ لتحريك القوه الشوقية إلى ما يختار من الجزيئات من أجل غاية مضمونة.

عقل الهيولاني: قوه لنفس مستعدة لقبول ماهيات الأشياء مجرده عن المواد.

العقل بالملكة: هو استكمال هذه القوة حتى تصير قوة قريبة من الفعل بحصول الذي سماه في كتاب البرهان عقلاً.

العقل بالفعل: استكمال النفس في صورة ما أو صورة معقولة حتى من شاء عقلها وأحضرها بالفعل.

العقل المستفاد: هو ماهية مجردة عن المادة مترسخة في النفس على سبيل أصول من الخارج.

العقول التي يقال لها: العقول الفعالة، وهي كل ماهية مجردة عن المادة أصلاً)[١٢].

وظهر هذا البعد لتعريف العقل عند بعض المتكلمين، فجاء عن الجرجاني:

العقل: جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارب لها في فعله (وهو) النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا. وقيل العقل: نور في القلب يعرف الحق والباطل... وقيل العقل: جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتعرف. وقيل: العقل: قوة للنفس الناطقة.

والعقل بالملكة: هو علم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات.

والعقل بالفعل: تكوين النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بالتكرار يستحضرها متى شاء من غير تجشم كسب جديد لكنهه لا يشاهدها بالفعل.

العقل المستفاد: أن تحضر عنده النظريات التي أدركها بحيث لا تغيب عنه[١٣].

لم تخلو هذه التعريفات عند كل من الفلاسفة ومن سار على نهجهم من المتكلمين من العديد من الاستدراكات التي أُخذت عليها، ومنها:

- إن ما ذكروه من تعريفات يجعل العقول الإنسانية متساوية في النظر والاستدلال دون الإشارة إلى ما بينها من تفاوت في الملكات العقلية، كما يقال فلان أعقل من فلان.
- اعتبار العقل جوهر قائم بنفسه مستقل، وليس من الأعراض، وهذا مخالف كل المخالفة للمعقول والمنقول.

من هنا كان على شيخ الإسلام مهمة صياغة تعريف للعقل، يحاول من خلاله رسم مفهوم العقل ورد بعض التعريفات التي قُدمت من الفلاسفة ومن وافقهم؛ لهذا نجده قد أفرد ذلك بكتابات مطولة منثورة في معظم كتبه يتحدث فيها عن تعريف العقل، وعلاقته بمفهوم العقل في الكتاب والسنة، ومجالاته في عالم الشهادة وعالم الغيب راداً على قول الفلاسفة في ذلك[١٤].

يقول رحمه الله: (العقل في لغة العرب يتناول العلم والعمل بالعلم جميعاً، ومن أهل الكلام من يجعله اسماً لنوع من العلم فقط، فيقول: هو نوع من العلوم الضرورية، ومن الناس من يريد به العمل بالعلم فقط كما ذكره أبو البركات. وقد يراد بالعقل القوة التي في الإنسان، وهي الغريزة التي بها يحصل له ذلك العلم والعمل به، ولهذا كان في كلام السلف، كأحمد والحارث المحاسبي وغيرهما اسم العقل ويتناول هذه الغريزة، ومن أنكر الغرائز والطبائع والقوى التي في الأعيان، وقال: إن القادر المختار يُحدث جميع الحوادث بمجرد المشيئة التي ترجح أحد المتماثلين على الآخر لا بمرجح كما يقوله أبو الحسن الأشعري ومن وافقه كالقاضي أبي بكر والقاضي أبي يعلى وأبي المعالي وأبي الحسن بن الزاغوني وأبي بكر بن عربي وغيرهم)[١٥]. ويقول: (والمقصود هنا أن اسم العقل في اصطلاح جميع المسلمين، بل وجميع أهل الملل وعامة بني آدم يراد به ما هو قائم بغيره سواء أكان علماً أم قوة أم عملاً بعلم أو نحو ذلك، لا يراد به ما هو جوهر قائم بنفسه إلا في اصطلاح هؤلاء الفلاسفة، والنفس الكامنة بعد

المفارقة تصير عقلاً عندهم ثم أن أتباع أرسطو يقولون: إن العقل لا يتجدد له علم أصلاً، ويقولون: إن العقل والعاقل والمعقول شيء واحد، ويقولون: إن واجب الوجود واحد، بمعنى أن ليس له صفة أصلاً، إلى غير ذلك من الأقوال يخالفهم فيها غيرهم من الفلاسفة، ويقول جمهور العقلاء: إنها أقوال معلومة الفساد بصريح المعقول)[١٦].

ولما سئل شيخ الإسلام عن العقل الذي للإنسان هل هو عرض؟ قال: الحمد لله رب العالمين (العقل) في كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم العاقل، سواء أسمي عرضاً أم صفةً ليس هو عيناً قائمة بنفسها سواء أسمي جوهراً أم جسماً أم غير ذلك، وإنما يوجد التعبير باسم(العقل) عن الذات العاقلة التي هي جوهر قائم بنفسه في كلام طائفة من المتفلسفة الذين يتكلمون في العقل والنفس، ويدّعون ثبوت عقول عشرة كما يذكر ذلك من يذكره من أتباع أرسطو أو غيره من المتفلسفة المشائين، ومن تلقى ذلك عنهم من المنتسبين إلى الملل، والعقل عندهم جوهر قائم بنفسه لا يوصف بحركة ولا سكون ولا تجدد له أحوال البته [١٧].

ويشير رحمه الله إلى أن المقصود باسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء، إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل، وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ سورة البقرة، أية ٧٣. ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً، وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل إنما يسمى به العلم الذي يُعمل به، والعمل بالعلم، ولهذا قال أهل النار: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك، أية١٠. والعقل المشروط في التكليف لابد أن يكون علوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما

يضره، فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس، ولا بين أيام الأسبوع، ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل، أما من فهم الكلام وميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل[١٨].

بعد تحليل تعريفات شيخ الإسلام السابقة للعقل وبيان مفهومه، نجد تعريفاته رحمه الله تحوم حول عدة معان، منها :

١- (العقل من الأمور النسبية الإضافية، فإن زيداً قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر)[١٩].

فالتفاوت قائم من شخص لآخر كتفاوت العقول بين الكبار والصغار، والرجل والمرأة، بل في الشخص الواحد بما يظهر له من المعارف والعلوم التي لم يكن يعقلها من قبل، فمن معاني العقل إذاً علوم مكتسبة.

٢- (العقل الغريزة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها)[٢٠]، فهو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين[٢١].

يقول شيخ الإسلام:(فإن العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلاً، كما في القرآن ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك، أية١٠، ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ رعد، أية٤. ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج، أية٤٦) [٢٢].

٣- إن العقل عرض قائم بغيره، وليس جوهراً مستقلاً قائماً بنفسه، يقول: (إن العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونانيين، فإن العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلاً...وأما أولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه

كالعاقل، وليس هذا مطابقاً للغة الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن، وعالم الخلق عندهم كما يذكره أبو حامد الغزالي: عالم الأجسام، وأما العقول والنفوس فيسميها عالم الأمر، وقد سمى (العقل) عالم الجبروت، (والنفوس) عالم الملكوت، (والأجسام) عالم الملك، ويظن من لم يعرف لغة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن لم يعرف معاني الكتاب والسنة، أن ما في القرآن والسنة، من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا، وليس الأمر كذلك...فصار تصوير هؤلاء في العلوم السمعية من أسباب قوة وضلال أولئك)[٢٣].

وإذا عُدنا لمعنى الجوهر عندهم نجد أنه يستحيل أن ينطبق على العقل، يقول الكندي في تعريفه للعقل:

(هو القائم بنفسه، وهو حامل الأعراض لم تتغير ذاتيته، موصوف لا واصف. ويقال: هو غير قابل للتكوين والفساد، وللأشياء التي تزيد لكل واحد من الأشياء التي مثل الكون والفساد).[٢٤]

من هنا رفض شيخ الإسلام معنى العقل عندهم، وعده كفراً وضلالاً ولا صلة له بالدين؛ وذلك لما يترتب عليه من العديد من الأفكار والعقائد الباطلة والمخالفة تماماً لصريح المنقول، بل ومخالفة لأصول الدين عند أهل الشرائع السماوية، ومنها: نظرية العقول العشرة ليفسروا بها خلق العالم، وأن العقل مبدع لكل ما سوى الله، وأن العقل العاشر المبدع والمشرف على ما تحت فلك القمر. فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه يحكم ولا يُحكم عليه يفعل دائماً ولا ينفعل عندهم، فهو عندهم فعل محض. يقول رحمه الله: (ما يثبته المتفلسفة من العقل باطل عند المسلمين، بل هو أعظم الكفر، فإن العقل الأول عندهم مبدع كل ما سوى الله، والعقل العاشر مبدع ما تحت فلك القمر، وهذا أعظم الكفر عند المسلمين، واليهود، والنصارى)[٢٥].

٤- العلوم الضرورية أو البديهيات العقلية وهي التي يتفق عليها جميع العقلاء، كالعلم بأن الكل أكبر من الجزء إلى غيرها من البديهيات، وهي علوم لا تحتاج إلى دليل لإقرارها، وغير مكتسبة، ولو لزم كونها تحتاج لبرهان لأفضى ذلك إلى التسلسل وهو محال. وبهذا التعريف يفرق بين العاقل المكلف شرعاً وبين المجنون الذي رفع عنه التكليف، فالعقل هنا هو مناط التكليف.

٥- العلوم النظرية المكتسبة وهي التي تحصل بالاستدلال والنظر، فتدفع الإنسان إلى ما ينفعه وترك ما يضره وهناك يكون بمرتبة أعلى من المعنى السابق، ويدخل فيما يُحمد بها عند الله من العقل ومن عُدم هذا ذُم، وما في القرآن من مدح من يعقل وذم من لا يعقل يدخل فيه هذا النوع[٢٦]. وفي هذا مراعاة لفوارق الملكات العقلية بين البشر وإن اتفقوا على العلوم الضرورية التي كانت مناط التكليف للمكلفين.

٦- الأعمال التي تكون بموجب العلم، ومن هذا قول الله تعالى: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)، يقول رحمه الله: (العمل بالعلم يدخل في مسمى العقل أيضاً، بل هو من أخص ما يدخل في العقل الممدوح)[٢٧]. ويقول: (فالعقل والإمساك والضبط والحفظ ونحو ذلك ضد الإرسال والإطلاق... وكلاهما يكون للجسم الظاهر، ويكون بالقلب الباطن للعلم الباطن، فهو ضبط العلم وإمساكه، وذلك مستلزم لإتباعه، فلهذا صار لفظ العقل يطلق على العمل بالعلم)[٢٨].

فهذه معاني العقل عند شيخ الإسلام والتي قام عليها الدليل وليس في هذا التعدد لمعنى العقل من تناقض أو تضارب، بل كما سلف القول إن معنى العقل لم يُحد بحد تام، فأشار إلى أنه غريزة فطرية في الإنسان يميز بها بين الحق والباطل، ومما يشترك فيها المكلفون، وهذا مما لا يخالف فيه أحد، وكذلك جاء بمعنى الأعمال التي تكون بموجب العلم، وهذا مما يشترك به المكلفون أيضاً، ولكن قد ينفرد فيه كثير من

الناس دون بعض حين قام على الاستدلال والنظر، وهذا يؤيده الحس من خلال دلالته على تفاوت ملكات العقول من شخص لآخر، بل يكون أحياناً هذا التفاوت في الشخص الواحد، فنقول: فلان أعقل من فلان، ونقول: فلان أعقل مما كان عليه قبل. وكل ذلك نتيجة ما اكتسب من المعارف والعلوم، فهو من الأمور النسبية أحياناً. فالعقل عنده غريزة فطرية في الإنسان يميز بها الحق من الباطل في الأقوال والأفعال جاعلاً إياه من باب الأعراض.

من هنا نجد أن التعريفات التي جاءت عند شيخ الإسلام، استوفت ما صدقاتها أي الأفراد وعلاقتهم بالعقل. بعد هذا فما صحة قول القائل بأن شيخ الإسلام ابن تيمية يعارض العقل ومعارفه؟

إن المعاني التي رفضها شيخ الإسلام كانت من باب مخالفتها لصريح المنقول، والأصول الدينية، كما هو الحال في تعريف الفلاسفة، وبعض المتكلمين الذين تأثروا بالمدرسة الفلسفية اليونانية، فأخذوا بمعنى العقل وأقسامه كما هو عند فلاسفة اليونان مع محاولة التوفيق مع النص الديني[٢٩].

أما عموم التعريفات التي جاءت عن بعض متكلمي أهل السنة فكانت مما ارتضاها شيخ الإسلام مع شيء من التهذيب[٣٠]. يقول رحمه الله:)ومن الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية، ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم، والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد ابن حنبل والحارث ابن المحاسب وغيرهما(أن العقل غريزة) وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العلماء كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء)[٣١]. وعندما سُئل الشيخ _رحمه الله _ أيهما أفضل العلم أم

العقل؟ فأجاب (أن أريد بالعلم علم الله تعالى وهو الكتاب كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ آل عمران، أيه ٦١. فهذا أفضل من صفة المخلوق، وإن أريد بالعقل أن يعقل العبد أمره ونهيه، فيفعل ما أُمر به ويترك ما نُهي عنه، فهذا العقل يدخل صاحبه به الجنة، وهو أفضل من العلم الذي لا يدخل صاحبه به الجنة، كمن يعلم ولا يعمل، وأن أُريد بالعقل الغريزة التي جعلها الله في العبد التي ينال بها العلم والعمل، فالذي يحصل به أفضل؛ لأن العلم هو المقصود به، وغريزة العقل وسيلة إليه، والمقاصد أفضل من وسائلها. وأن أُريد بالعقل العلوم التي تحصل بالغريزة، فهذه من العلوم فلا يقال: إيما أفضل العلم أو العقل... والجواب في هذه المسألة- مسألة العلم والعقل - لابد فيه من التفصيل؛ لأن كل واحد من الاسمين يحتمل معاني كثيرة، فلا يجوز إطلاق الجواب بلا تفصيل، ولهذا أكثر النزاع فيها لمن لم يفصل)[٣٢].

مسكن العقل[٣٣]:

أما عن مسكن العقل، فأجاب بأن العقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج، أية٤٦. وقيل لابن عباس: بما نلت العلم؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول، لكن لفظ (القلب) قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن التي جوفها علقة سوداء، كما في الصحيحين من النبي صلى الله عليه وسلم: (النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ

اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)[٣٤]. وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً، فإن قلب الشيء باطنه... وعلى هذا فإن أُريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضاً، ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ، كما يقوله كثير من الأطباء، ونقل ذلك عن الإمام أحمد، ويقول طائفة من أصحابه: أن أصل العقل في القلب، فإذا كمل انتهى إلى الدماغ. والتحقيق أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ ومبدأ الإرادة في القلب. والعقل يراد به العلم ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة وأصل الإرادة في القلب والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد فلا بد أن يكون القلب متصوراً فيكون منه هذا وهذا ويبتدئ ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة إلى الدماغ فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء وكلا القولين له وجه صحيح)[٣٥]. وقد أشار رحمه الله تعالى في كتابه المسودة إلى ذلك موضحاً إلى أن مكان العقل القلب[٣٦].

المطلب الثاني: مكانة العقل في الإسلام:

لقد شغل الحديث عن العقل حيزاً كبيراً في آيات القرآن الكريم، ذكراً ومكانةً، ولكنه حديث يخالف كل ما قُدم في ذلك من قبل في النظريات الفلسفية والكلامية، فصانه عندما أخرجته تلك النظريات عن حقيقته، فمنها ما ألهته وقدسته وأعطته السلطة والاستقلالية في الحديث عن جميع الأمور، وبين ما حطت من قيمته المعرفية وقدرته على إنتاج المعرفة. فالقرآن لم يجعل العقل جوهراً مستقلاً كما سبق بيانه عند الفلاسفة، وإنما جعله عرضاً أو هيئة وصفة للإنسان يستطيع من خلالها التمييز والإدراك، فهو مناط التكليف، والتكليف متوقف على وجوده، فهو آلة الإدراك، قال

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ " قَالَ أَبو دَاوُدَ: رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَادَ فِيهِ: «وَالْخَرِفِ»)[٣٧].

وعند النظر في آيات الكتاب العزيز وتتبع ورود لفظ العقل نجده قد ورد بما يقرب من تسعٍ وأربعين مرة، وعند الوقوف عند هذه الألفاظ نجدها جاءت بصيغ متعددة على النحو الآتي[٣٨]:

تعقلون	٢٤ مرة
يعقلون	٢٢ مرة
نعقل	مرة واحدة
يعقلها	مرة واحدة
عقلوه	مرة واحدة

﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك: ١٠.

أي نعقله عقلاً متأملاً متفكراً، فلو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزل الله من الحق لما كانت عليه حالنا من الكفر بالله والاعتزاز به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم[٣٩]. فالدلالة القرآنية هنا جاءت إشارة إلى الوظيفة المعرفية للعقل بالفهم والإدراك للأشياء. وقال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة، أية ٥٧. فجاءت الآية موضحة لقبائح أسلاف اليهود ومنها تحريفهم وتبديلهم وتغييرهم للكتاب المنزل عليهم (التوراة) من بعدما

عقلوا أحكامه ووعوها، فالمراد أنهم علموا بصحته وفساد ما عملوه، فكانوا معاندين مقدمين على ذلك بالعمد، فعقلوا مراد الله فأولوه تأويلاً فاسداً يعلمون أنه غير مراد الله تعالى[٤٠]. وهنا أيضاً نجد أن الإشارة القرآنية فيما يخص العقل جاءت من جانب الوظيفة الإدراكية والمعرفية له من حيث إدراكه لصدق الأشياء وبطلانها على حقيقتها، ومن ثم تحريفها بما يمليه هوى النفس.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت، أية ٤٣، فجاءت الأمثال في كتاب الله عز وجل تُضرب ببعض الحيوانات كالعنكبوت مثلاً، فلا يتدبر تلك الأمثال ولا يعيها وما فيها من فوائد إلا العلماء أصحاب النظر والعقل التأمل والفكر السليم، وهذا التحفيز على تعقل الأشياء بيان لدوره في إخراج مكنون تلك الأمثال فلا تمر عليه مر الكرام.

أما لفظ يعقلون فجاء بصيغتين، وهما:(لقوم يعقلون)، (لا يعقلون)، ومن الشواهد القرآنية على ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ الجاثية، أية ٥. فلقد جسدت الآية هنا كسابقتها وظيفة العقل التأملية بالنظر وإعمال الفكر في عالم الشهادة بما فيها من إشارات إلى بعض مظاهر قدرة الله في هذا العالم كاختلاف الليل والنهار، وإنزال الماء من السماء، وإحياء الأرض، وتصريف الرياح من أي الجهات تأتي وبما تأتي به من الخير أو العذاب كل ذلك دلائل توحيده سبحانه ولكن من يعقلها؟ استنهاض للهمم بالتأمل فيها، ولفظ (قوم) جاءت نكرة لتعم كل قوم وكل فرد يملك العقل، فلا يستثنى من ذلك إلا فاقد الأهلية.

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ العنكبوت، أية ٦٣.

لقد عاب عليهم القرآن هنا تناقضهم وفساد عقولهم؛ لأنهم أقروا بتوحيد الربوبية وأن الله عز وجل هو الخالق وهذا ما أدركته العقول، ولكنهم لم يقروا بتوحيد الألوهية من حيث إفراده عز وجل بالعبادة، فأين تعقلهم وفهمهم هنا؟

أما لفظ تعقلون فجاءت بثلاث صيغ، وهي: (أفلا تعقلون)، (لعلكم تعقلون)، (إن كنتم تعقلون).

قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة، أية ٤٤.

نزلت الآية في معشر اليهود الذي كانوا يأمرون الناس بالبر، ومنه إخبارهم للبعض بأن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق فيما يقول، ولكنهم غفلوا عن حق أنفسهم وكانوا يعدلون عما فيه النفع، وهم يتلون التوراة ويتدارسونها. والهمزة في أتأمرون الناس بالبر للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم، فجاء قوله تعالى:(أفلا تعقلون) فيه تعجب للعقلاء من أفعالهم[٤١]. وتكررت الفاصلة القرآنية (أفلا تعقلون) كثيراً في الآيات التي تحدثت عن العقل ووظيفته، وكانت باعثة على التدبر في موضوع الخطاب؛ لأن المخاطبين قد غفلوا عنه، فجاءت الآيات تبين على أنه من لم يتدبر فكأنه خرج عن العقل والتعقل. فكان الاستفهام هنا استفهاماً إنكارياً عليهم على أنهم عطلوا العقل عن وظيفته بفعلهم ذلك وهو الغفلة وعدم التدبر. وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف، أية٢. فقد تكررت الفاصلة (لعلكم تعقلون) كثيراً في الآيات القرآنية، فجاءت تفيد الرجاء في حصول التعقل والتدبر

والفهم لموضوع الخطاب، بل تفيد الجزم بوقوع التعقل للأشياء كما في الآية السالفة، فلفظة (لعل) يجب حملها على الجزم، والتقدير: إنا أنزلناه قرآناً عربياً لتعقلوا معانيه في أمر الدين، إذ لا يجوز أن يراد بلعلكم تعقلون الشك؛ لأنه على الله محال، فثبت أن المراد أنه أنزله لإرادة أن يعرفوا دلائله، وذلك يدل على أنه تعالى أراد من كل العباد أن يعقلوا توحيده وأمر دينه[٤٢]. وهذا الرجاء والجزم بوقوعه ليس خاصاً بزمان ومكان، بل قرن بالمضارع الذي يفيد الاستمرارية، فما كان حجة عليهم، وطلب منهم تعقله فهو علينا أوجب. أما الصيغة الثالثة فهي قوله تعالى: (إن كنتم تعقلون) الشعراء، أية ٢٨. أفاد لفظ (كان) الاستمرارية في حصول الشيء، ثم جاء الفعل المضارع (تعقلون)، وأفاد ذلك، والمقصود هو حثهم على استخدام العقل في التأمل والنظر والحكم على الأشياء. وبعد النظر في مجموع الآيات الواردة يمكن الوصول إلى عدة أمور، منها:

١- أنه لم يرد في النصوص الشرعية ذم للعقل، بل ورد مدحه ومدح التحاكم إليه، وعليه فتسمية المخالفين للشرع بالعقلانيين، وتسمية مذاهبهم بالمذاهب والاتجاهات العقلانية ليست في محلها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك، الآيتان ١٠-١١.

٢- لم نجد آية واحدة من مجموع الآيات الواردة في هذا تتحدث عن كنه العقل أو أنه عضو أو جوهر مستقل قائم بذاته كما هو الحال في النظريات الفلسفية.

٣- جاءت الآيات تشير للوظيفة المعرفة للعقل بمجموعها، وتؤكد ذلك أيضاً بألفاظ أخرى، منها: فكر، فقه، تدبر، نظر، رأى، فأرادت من الإنسان أن يكون مفكراً، ناظراً، متأملاً في الأشياء في عالم الشهادة وصولاً إلى النتيجة السليمة، فكان ذلك نعمة من الله عز وجل على الإنسان يدرك من خلالها الخير من الشر، والصلاح

من الفساد، ولقد أنكر الله على أهل الكفر تعطيل ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ الأعراف، أية ١٧٩. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة، أية ١٧١.

٤- الآيات جاءت بصيغة المضارع: تعقلون، يعقلون، يعقلها، وذلك يفيد استمرارية حصول التعقل والفهم للإنسان.

٥- الفواصل القرآنية التي جاءت بلفظ العقل، مثل: (أفلا تعقلون)، (لعلكم تعقلون)، (إن كنتم تعقلون). كلها تفيد الرجاء في حصول التعقل والوعي والفهم، وتأتي بالاستفهام الإنكاري على من يهمل دور العقل الذي هو منحة الله للعباد، فكانت الفواصل ذات دلالات بلاغية مؤكدة لوظيفة العقل. من هنا نجد أن القرآن الكريم جاء بالثناء والمدح لأصحاب العقول الذين وقفوا مع عالم المخلوق وقفة اعتبار وتفكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ سورة البقرة، آية ١٦٤، كما جاءت الآيات مؤكدة على وظيفة العقل ودوره في المعارف، من خلال الحث على النظر والاستدلال والتفكر آخذاً للعظات والعبر والأحكام، فلا يمرون على الظواهر في عالم الشهادة دون أن يعقلوها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران، آية ١٩١. وحفّز العقل على النظر غير المنقطع أو

المتوقف على أسباب، فذم التقليد والتعصب وأهله، وعاب عليهم ذلك، وفتح لهم عالم الشهادة بحثاً عن الخالق الصانع، ونظراً في مادة الخلق وصورته، وما فيه من عبر، وكذلك النظر في التشريع وأحكامه والوقوف على ما فيه من حكم في العبادات والمعاملات والعقوبات وغير ذلك، وكلّف العقل بذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ الزخرف، آية ٢٤. واستنهض القرآن العقل لمحاربة كل أنواع الخرافة والشعوذة، بل جاءت بصيغة الأمر بياناً لوظيفة العقل ودوره في الوقوف على حقائق الأشياء ومنافعها في الدنيا وصولاً إلى الآخرة، فيبدأ النظر في الآيات المتلوة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ ص، أية ٢٩. يقول الدكتور محمد السيد الجليند: (تحديد علاقة العقل بعالم الشهادة من توجيهات القرآن الكريم التي تجعل النظر العقلي يحث العقل ويرفعه دفعاً إلى التعرف على هذا الكون واكتشاف قوانينه والعلاقة السببية، والعلاقات المتبادلة، والتدرج والرقي من مستوى معرفي إلى مستوى معرفي آخر يفتح أمام العقل مجالات النظر... فالكون مسرح للعقل وميدانه علاقات أسباب ومسببات، مقدمات وتأملات ينبغي توظيف العقل في عالم الشهادة)[٤٣].

وما جاء عن شيخ الإسلام في هذا لم يخرج عن دلالة النصوص، بل رسم مكانة العقل، وبيّن حقيقته من خلالها، فذكر النصوص القرآنية السابقة سالفة الذكر وأشار إلى أن العقل المقصود ليس هو لفظ العقل في لغة اليونان، فالعقل غريزة جعلها الله تعالى في الإنسان ليعقل بها، وأما أولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه، وليس هذا مطابقاً للغة الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن[٤٤].

كما نجده قد أنكر على الفلاسفة المسلمين في مسألة أخرى من حيث قداستهم للعقل، وأشار إلى أنهم يزعمون أن العقل الأول هو العقل المذكور في حديث يروى عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ آخُذُ، وَبِكَ أُعْطِي، وَبِكَ الثَّوَابُ، وَعَلَيْكَ الْعِقَابُ».[٤٥] والحديث الذي ذكروه في العقل حديث موضوع عند أهل المعرفة بالحديث كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي، وأبو الحسن الدارقطني، وابن الجوزي، وغيرهم، وليس هو في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها، فإن لفظة (وأول ما خلق الله العقل قال له... ويروى (لما خلق الله العقل... ومعنى الحديث أنه خاطبه في أول أوقات خلقه، وليس معناه أنه أول المخلوقات، في المقال: (فبك آخذ، وبك أعطي، وبك الثواب وعليك العقاب فذكر أربعة أنواع من الأعراض، وعندهم أن جميع الجواهر العالم العلوي والسفلي صدر عن ذلك).[٤٦]

المطلب الثالث: حجية الدليل العقلي عند شيخ الإسلام وعلاقته بالدليل النقلي.

إن ما حاول البعض الحديث عنه في المدرسة السلفية عموماً وعند شيخ الإسلام خاصة كان يدور حول مسألة حجية الدليل العقلي عنده، فقد كانوا يصورن شيخ الإسلام من خلال كتاباتهم وحديثهم وفضائياتهم[٤٧] أنه يرفض العقل تماماً ولا يعترف به كمصدر للمعرفة، ولا يثق بأحكامه لا في العقائد والشرائع ولا في المعارف والعلوم عامة، متناسين أن آيات القرآن الكريم قدمت مادة للنظر وللفكر والتدبر للعقلاء، فنزل يخاطب العقول ويستنهضها إلى إعمال الفكر، ومنهج مدرسة السلف الصالح لم تخرج عن المنهج القرآني في ذلك، فكما أن القرآن حصّن العقل من الأهواء وإهدار الطاقات في مجالات لا مكان العقل أن ينظر فيها، وكلّفه وجوباً النظر في عالم الشهادة والتأمل فيه، كان السلف كذلك في احترامهم له، رافضين كل المذاهب

المخالفة للمنهج القرآني، يقول رحمه الله: (ذكرنا في غير هذا الموضع أن أئمة النظار معترفون باشتمال القرآن على الدلائل العقلية)[٤٨].

فالسلف لم يرفضوا العقل كمصدر للمعارف والعلوم رفضاً تاماً، ولكنهم رفضوا المذاهب الفلسفية، وبعض المذاهب الكلامية لمخالفتهم لأصول الدين في ذلك، وإطلاقهم العنان للعقل في تقرير العقائد والأحكام، وأن له سلطة استقلالية تامة في ذلك وهذا لا يعني رفضهم للعقل.

وما دام الحديث هنا عن موقف شيخ الإسلام ابن تيمية فإن الحديث يأتي في تصوير موقفه رحمه الله من العقل. فهل رفض ابن تيمية حجية العقل والدليل العقلي؟

لقد أفرد شيخ الإسلام مساحة كبيرة من كتبه للحديث عن هذه المسألة، فجاءت عنه نصوص كثيرة ومتفرقة، يعجز الباحث عن استقصائها، حيث بنى صورة الدليل العقلي البرهاني اليقيني السليم، معترفاً بحجية الدليل العقلي ومجالاته وأحكامه من خلال ضوابط صانت العقل عن الاختلاط والخطأ. فبعد جمع نصوص الشيخ وقراءتها يجد الباحث أن حجية الدليل العقلي تمثلت عنده في عدة أمور، منها:

أولاً: أن الدليل العقلي السليم هو دليل شرعي معتبر، يقول:

(وأن الناس كما يستفيدون من كلام المصنفين والمعلمين الأدلة العقلية، التي تبين لهم الحق فاستفادتهم ذلك من كلام الله أكمل وأفضل، فتلك الأدلة العقلية باعتبار أن العقل يعلم صحتها إذا نُبه عليها، وهي شرعية باعتبار أن الشرع دل عليها وهدى إليها، فعلى هذا التقدير تكون الدلائل حينئذ شرعية عقلية، وعلى هذا فقد يقال: الأدلة الشرعية نوعان: عقلي وسمعي، فالعقلي ما دل الشرع عليه من

المعقولات، والسمعي ما دل بمجرد الأخبار، وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن أئمة النظار معترفون باشتمال القرآن على الدلائل العقلية)[٤٩].

ويقول رحمه الله: (إن الدليل متى كان شرعياً معناه أن الشرع أثبته ودل عليه، وبالتالي فهو معلوم بالعقل، وقد أذن الشرع فيه، وإلا لما كان شرعياً)[٥٠].

وأشار رحمه الله إلى أن الدليل العقلي يأتي بصور متعددة منها الأقيسة أو الأمثال وغير ذلك، فالأمثال المضروبة في القرآن هي " أقيسة عقلية" من جهة أنها تعلم بالعقل، وكثير من أهل الكلام يسمي هذه "الأصول العقلية" لاعتقاده أنها لا تعلم إلا بالعقل فقط، فإن السمع هو مجرد إخبار الصادق، وخبر الصادق الذي هو النبي لا يعلم صدقه إلا بعد العلم بهذه الأصول بالعقل، ثم إنهم قد يتنازعون في الأصول التي تتوقف إثبات النبوة عليها[٥١]. فالعقل عنده يشكل حجة شرعية في العقائد والشرائع، ومختلف العلوم والفنون، واعتبر الملازمة بين الدليلين السمعي والعقلي قائمة، يقول رحمه الله: (أن الطرق العقلية الصحيحة هي والأدلة السمعية متلازمان فيلزم من صحة أحدهما صحة الآخر)[٥٢].

ومن هذا التلازم بدء شيخ الإسلام يصور الدليل العقلي مع الدليل السمعي كوسيلتين للوصول إلى الحق في العقائد والتشريعات ومختلف العلوم والفنون على ما سيأتي بيانه في المبحث القادم إن شاء الله.

ثانياً: إن الدليل العقلي هو الفطرة السليمة التي فطر الله عز وجل الناس عليها، وما دامت كذلك يكون الدليل العقلي سليماً، فإذا انحرفت بفعل البيئة والهوى وغير ذلك يتيه العقل ويتخبط مقدماً لأدلة فاسدة تبعاً للأهواء بعيدة كل البعد عن المقدمات العقلية السليمة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ

البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»)[٥٣]. يقول رحمه الله: (يبين أن الفطرة التي فطر الله عليها عبادة والعلوم الضرورية التي جعلها الله في قلوبهم، توافق ما أخبر به الرسول من علو الله على خلقه ونحو ذلك، فالمعقول الضروري الذي هو أصل العلوم النظرية موافق للأدلة الشرعية مصدّق لها لا مناص لها)[٥٤]. ويقول رحمه الله: (بل العقليات الصحيحة ما كان معقولاً للفطر السليمة الصحيحة الأدراك التي لم يفسد إدراكها، وهذا القدر لا يزال موجوداً في بني آدم، وإن فسد رأي قوم، لم يلزم فساد رأي آخرين)[٥٥]. والناس سواء في هذه المعرفة (الضرورات العقلية).

ثالثاً: أن الأدلة العقلية السليمة القائمة على مقدمات صحيحة هي أدلة يقينية، يقول: (والأدلة العقلية البرهانية المؤلفة من المقدمات اليقينية هي موافقة لخبر الرسول لا معارضة له، ومن كان له خبرة بالأدلة العقلية وتأليفها، وتأمل أدلة المثبتة والنفاة، رأى بينهما من الفرق أعظم مما بين القَدَمِ والفَرَقِ[٥٦])[٥٧].

رابعاً: رفض شيخ الإسلام الأدلة العقلية التي أدعى أصحابها أنها كذلك، وما هي إلا أهواء ومقدمات فاسدة، فقبول الدليل العقلي السليم لا يعني بحال قبول الظنون والدعاوى والشبهات، فبعضها قائم على مقدمات فاسدة، فالكل يدعي الدليل العقلي، يقول رحمه الله:

(والمقصود هنا أنه لا يقول عاقل: إن كل ما يسمى معقولاً يجوز قبوله، فضلاً عن أن يعارض به معقولاً آخر، فضلاً عن أن يعارض به كتاب منزل من عند الله)[٥٨].

بل وصل الأمر عند شيخ الإسلام من الأمانة والموضوعية في الحديث عن حجية الدليل العقلي أنه عدّ الدليل الذي لا يقوم على مقدمات صحيحة كالخبر المكذوب، يقول: (وبين أن" العقل والسمع" قد صار لفظاً مجملاً، فكل من وضع شيئاً برأيه سماه " عقليات"، والآخر يبين فيما قاله ويدعي العقل أيضاً ويذكر أشياء أُخر

تكون أيضاً خطأً، كما بسط في مواضع وهو نظير من يحتج في السمع بأحاديث ضعيفة أو نصوص ثابتة لكن لا تدل على مطلوبة)[٥٩].

خامساً: قام المنهج الدعوي للأنبياء عموماً عليهم السلام على الدليلين الصحيحين العقلي والسمعي، وجاءت الكتب السماوية كلها تؤكد التلازم بينهما، يقول: (وأن الأدلة العقلية والسمعية المنقولة عن سائر الأنبياء، توافق ما جاء به الرسول، وتناقض ما يقوله أهل البدع المخالفون للكتاب والسنة، وإذا قالوا: إن العقل يخالف النقل، أخطأوا في خمسة أصول:

أحدهما: أن العقل الصريح لا يناقضه.

الثاني: أنه يوافقه.

الثالث: أن ما يدعونه من العقل المعارض ليس بصحيح.

الرابع: أن ما ذكروه من المعقول المعارض هو المعارض للمعقول الصريح.

الخامس: أن ما أثبتوا به الأصول كمعرفة البارئ وصفاته لا يثبتها، بل يناقض إثباتها)[٦٠].

ويقول: (ولهذا جاءت الكتب السماوية الإلهية بخطاب الناس بالمعقولات الصحيحة الفطرية، فإن الرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها لا بتغيير الفطرة وتحويلها، والنفس إنما تنال كمالها بسعادتها ونجاتها بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة)[٦١].

وخص شيخ الإسلام المنهج الدعوي لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه يوافق حكم العقل السليم، وهو ما سار عليه السلف الصالح من أمته صلى الله عليه وسلم، فكل من كان إلى طريق الرسالة والسلف أقرب كان إلى موافقة صريح المعقول وصحيح المنقول أقرب[٦٢].

ويقول: (فكل من كان إلى الرسول أقرب كان أولى بصريح المعقول وصحيح المنقول؛ لأن كلام المعصوم هو الحق الذي لا باطل فيه وهو المبلغ عن الله كلامه)[٦٣]. فالرسل لم تأت بما يقرر العقل السليم امتناعه، وإنما جاءت بما يعجز العقل عن إدراك الحق فيه بدونهم.

سادساً: أن طبيعة العلاقة بين الدليلين العقلي والسمعي علاقة توافق وتكامل؛ لأنهما وسيلتان للوصول إلى الحق في الاعتقاد والخير في السلوك والعمل، فلا يخرج صحيح المعقول عن صحيح المنقول،وعليه فلا تعارض بينهما، يقول: (دعا الله الخلق إلى الاعتبار بالعقل المستند إلى الحس، وبين أن ذلك موافق لما جاءت به الرسل من السمع، قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت، أية ٥٣. فأخبر أنه سيُري الخلق من الآيات الأفقية والنفسية، ما يبين أن القرآن الحق، فيتطابق السمع المنقول وما عرف بالحس المعقول)[٦٤].

ويشير رحمه الله إلى أن السمعيات مملؤة من إثبات الصانع وقدرته وتصديق رسوله، ليس فيها ما يناقض هذه الأصول العقلية التي بها يعلم السمع، بل الذي في السمع يوافق هذه الأصول، بل فيه من بيان الأدلة العقلية[٦٥]. فما من قول موافق للسنة إلا وتجد العقلاء الذين يقرون به أكثر وأعظم من العقلاء الذين ينكرونه[٦٦]. فلا تعارض بينهما إذاً، وهنا يفصل شيخ الإسلام في ذلك القول، على أنه إذا كان كل من الدليلين العقلي والسمعي قطعيين فلا يجوز تعارضهما، يقول: (فأما القطعيان، فلا يجوز تعارضهما سواء كانا عقليين أو سمعيين، وأحدهما عقلياً والآخر سمعياً، وهذا متفق عليه عند العقلاء؛ لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله، ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة)[٦٧].

وأما إذا لم يكونا قطعيين بأن كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً، فيقدم القطعي على الظني، أيّاً كان منهما، وإذا كانا ظنيين، فإنه يقدم الراجح منهما. يقول رحمه الله: (المسائل التي يقال: أنه قد يعارض فيها العقل السمع ليست من المسائل الدينية المعروفة بصريح العقل، كمسائل الحساب والهندسة والطبيعيات الظاهرة والإلهيات البينة ونحو ذلك، بل لم ينقل أحد بإسناد صحيح عن نبينا صلى الله عليه وسلم من هذا الجنس، ولا في القرآن شيء من هذا الجنس، ولا يوجد ذلك إلا في حديث مكذوب موضوع يعلم أهل النقل أنه كذب أو غلط المستدل به على الشرع.

فالأول: مثل حديث عرق الخيل الذي كذبه بعض الناس على أصحاب حماد ابن سلمة، وقالوا: إنه كذبه بعض أهل البدع، واتهموا بوضعه محمد بن شجاع، وقالوا: إنه وضعه ورمى به بعض أهل الحديث، ليقال عنهم أنهم يروون مثل هذا، وهذا الذي يقال في متنه: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْفَرَسَ فَأَجْرَاهَا فَعَرَقَتْ، ثُمَّ خَلَقَ نَفْسَهُ مِنْهَا "[٦٨]. تعالى الله عن فرية المفترين وإلحاد الملحدين، وكذلك حديث نزوله عشية عرفة إلى الموقف على جمل أورق، ومصافحته الركبان، ومعانقته للمشاة، وأمثال ذلك: هي أحاديث مكذوبة موضوعة باتفاق أهل العلم، فلا يجوز لأحد أن يدخل هذا وأمثاله في الأدلة الشرعية.

والثاني: مثل الحديث الذي في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ

اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ")[٦٩].

فإنه لا يجوز لعاقل أن يقول: إن دلالة هذا الحديث مخالفة للعقل والسمع إلا من يظن أنه قد دل على جواز المرض والجوع على الخالق سبحانه وتعالى، ومن قال هذا، فقد كذب على الحديث، ومن قال: إن هذا ظاهر الحديث أو مدلوله أو مفهومه فقد كذب، فإن الحديث قد فسره المتكلم وبين مراده بياناً زالت به كل شبهة، وبين فيه أن العبد هو الذي جاع وأكل ومرض وعاده العوّاد...فلا يُعلم حديث واحد يخالف العقل أو السمع الصحيح إلا وهو عند أهل العلم ضعيف، بل موضوع، بل لا يعلم حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر والنهي أجمع المسلمون على تركه، إلا أن يكون له حديث صحيح يدل على أنه منسوخ، ولا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث صحيح أجمع المسلمون على نقيضه، فضلاً عن أن يكون نقيضه معلوماً بالعقل الصريح البيّن لعامة العقلاء)[٧٠].

أسباب دعوى التعارض بين الدليلين القطعيين العقلي والسمعي.

لقد أشار شيخ الإسلام رحمه الله إلى أسباب ادعاء البعض بالقول بتعارض كل من الدليلين القطعيين العقلي والسمعي، وفسر ذلك بعدة أمور يمكن استنباط أشهرها، منها:

١- الهوى وزيغ القلوب فهم شاكون ومشككون، قصور في إعمال الفكر، وسوء في تقدير الأمور، يقول: (فإن هؤلاء المعارضين " يقصد من يقول بتناقض الدليل العقلي، وما جاءت به الرسل" فهم خلق كثير في قلوبهم ريب في نفس الإيمان بالرسالة، وفيهم من في قلبه ريب في كون الرسول أخبر بذلك)[٧١].

٢- الإيمان المطلق بكل ما يمليه العقل باجتهادات الأفراد وفقاً لملكاتهم العقلية المتفاوتة ظناً منهم أنه الحق في ذلك مع علمهم أن ذلك يخالف الدليل السمعي القطعي، وهذا هو الجهل، يقول رحمه الله: (من قال: يجب تصديق ما أدركته بعقلي ورد ما جاء به الرسول لرأيي وعقلي، وتقديم عقلي على ما أخبر به الرسول مع تصديقي بأن الرسول صادق فيما أخبر به، فهو متناقض فاسد العقل ملحد في الشرع، وأما من قال: لا أصدق ما أخبر به حتى أعلمه بعقلي، فكفره ظاهر)[٧٢].

وحاول رحمه الله تفسير ظاهرة تعارض الأدلة السمعية عند الملاحدة، وتعارض الدلالتين عند من يُكن السفسطة والإلحاد بأنها شبه قامت بهم، وأن الآفة من إدراكهم لا من المدرَك كالأحول الذي يرى الواحد اثنين، والممرور الذي يجد الحلو مراً، وإلا فالسمع الصحيح هو القول الصادق من المعصوم الذي لا يجوز أن يكون في خبره كذب لا عمداً ولا خطأً، والمعقول الصحيح هو ما كان ثابتاً أو منتفياً في نفس الأمر لا بحسب إدراك شخص معين، وهو ما كان ثابتاً أو منتفياً في نفس الأمر، لا يجوز أن يخبر عنه الصادق بنقيض ذلك، بل من شهد الكائنات على ما هي عليه وجدها مطابقة لخبر الصادق[٧٣].

٣- التعصب للأصول المذهبية، خاصة أن بعض الفرق كانت من أهل البدع والضلالات، فكما حاولوا ليّ أعناق النصوص الدينية القطعية صارفين إياها للاستدلال على أصولهم المذهبية الفاسدة التي وضعوها، وحاولوا أيضاً الاستدلال بالعقل للانتصار للمذهب، وتشكيك الناس في أصول المخالفين لهم، ففُتح هنا باب التأويل الفاسد الذي خرج عن كل الضوابط الدينية عند البعض، يقول رحمه الله:

(الجهمية[٧٤] النفاة المعطلة قلبوا حقائق الأدلة والبراهين العقلية والسمعية ثم ادعوا أن معهم دلالات عقلية تعارض الآيات السمعية، فحرفوا الآيات وبدلوها بالتأويل بعد أن أفسدوا العقول بزخرف الأباطيل)[٧٥].

وكذلك ما ذهبت إليه المعتزلة[٧٦] في رد الدليل السمعي المخالف لأصولهم المذهبية الدينية التي قرروها بعقولهم مع مخالفتها لظواهر النصوص، كمسألة رؤية الله عز وجل يوم القيامة، فلما صارت إلى القول بنفيها معارضة بذلك كل النصوص الصحيحة المثبتة لذلك، حاولت الاستدلال بالعقل، ولكن ما كان ذلك إلا استدلال فاسد؛ لأنها تحدثت عن عالم الغيب، وعن رؤية الله عز وجل يوم القيامة، وكأنها تتحدث بصورة عقلية كما هي الرؤية في عالمنا هذا عالم الشهادة من حيث تحيز الشيء المرئي أمام الرائي وما شابه ذلك، فما كان هذا إلا استدلال فاسد، وصور ذلك كثيرة عند معظم الفرق وأهل الكلام، حيث خالفوا العقول السليمة، يقول رحمه الله: (فكانوا أهل الكلام في مخالفة العقول بمنزلتهم في مخالفة المنقول)[٧٧].

ويقول رحمه الله: (إن جميع المقدمات العقلية التي ترجع إليها براهين المعارضين للنصوص النبوية إنما ترجع إلى تقليد منهم لأسلافهم لا إلى ما يُعلم بضرورة العقل، ولا إلى فطرة، فهم يعارضون ما قامت الأدلة العقلية على أنه لا يجب تصديقه، بل قد عُلم جواز الخطأ عليه، وعُلم وقوع الخطأ منه فيما دون الإلهيات، فضلاً عن الإلهيات)[٧٨].

٤- أثر الفلسفة اليونانية المخالفة في معظم أصولها لصريح المنقول، كما هو الحال في أصول فلاسفة المسلمين كالفارابي[٧٩] وابن سينا. فلقد قاموا بمحاولة التوفيق بين الدليل السمعي وأصول الفلسفة اليونانية التي تمثل الدليل العقلي عندهم، ولكن التعارض حقيقي قائم بين الدليلين بصورة لا يمكن الجمع بينهما، لذلك حاولوا ليّ أعناق النصوص، فظهر ما يسمى التأويل الفلسفي، وهو باطل، وكذلك

أقاموا أدلة عقلية ظنوا أنها هي صورة الاستدلال العقلي الصحيح وأنزلوها منزلة القطعية، ومن هنا ظنوا أنهم قد وفقوا في ذلك، ولكن باءت محاولتهم تلك بالفشل فسميت بالمحاولة التلفيقية لا التوفيقية، يقول رحمه الله: (فالفلاسفة القائلون بقدم العالم[٨٠] كانوا في غاية البعد عن الحق الذي جاءت به الرسل الموافق لصريح المعقول وصحيح المنقول)[٨١]. ويشير إلى أنه عند التحقيق تجدهم مقلدين لأئمتهم فيما يقولون إنه من العقليات المعلومة بصريح العقل، فتجد أتباع أرسطوطاليس يتبعونه فيما ذكره من المنطقيات والطبيعيات والإلهيات مع أن كثيراً منهم قد يرى بعقله نقيض ما قاله أرسطو، وتجده لحسن ظنه به يتوقف في مخالفته، أو ينسب النقص في الفهم إلى نفسه[٨٢]. يقول: (إن طائفة من الفلاسفة كابن سينا وأمثاله الذين أرادوا أن يجمعوا بين سلفهم" اليونانيين" وبين ما جاءت به الرسل مع دلالة العقول عليه فلم يمكنهم ذلك إلا بما خالفوا به الرسل مع مخالفة العقول، مع مخالفة سلفهم فيما أصابوا فيه وموافقتهم فيما أخطأوا فيه، وكان كفراً في الملل مع تناقضهم ومخالفتهم جميع العقلاء)[٨٣]. ومن هنا نخلص إلى موقف شيخ الإسلام من حجية الدليل العقلي، والذي اعتبره دليلاً شرعياً، حجة في العقائد والتشريعات وسائر العلوم، فرأى أنه من تبحر في المعقولات، وميز بين الشبهات تبين له أن العقل الصريح أعظم الأشياء موافقة لما جاء به الرسول، وكلما عظمت معرفة الرجل بذلك عظمت موافقته للرسول[٨٤]. فالرسول يخبر بما تعجز عن معرفته العقول، فيخبر بمحارات العقول لا بمحالات العقول[٨٥].

ولكن لا يفهم من ذلك وليس لأحد أن يدعي أنه ما دام أنه اعتبره حجة، فلماذا أنكر على الفلاسفة؟ تبين للباحث سابقاً أن الفلاسفة اعتبروا العقل جوهراً مستقلاً قائماً بذاته، ولكن ابن تيمية لم يعتبره كذلك ولم يقل باستقلاليه العقل

وسلطانه المطلق في البحث بأمور الغيب ما لم يأت النص بذلك، ولكن شيخ الإسلام اعتبر ما يأتي من العقل السليم لا يخرج عن النص الصحيح، إنما يأت ملازماً وموافقاً له، لا مناقضاً ولا مقدماً عليه، وليس له سلطة على النص، وإن كان له دور البيان والفهم والتدبر للنص بالفهم السليم، والإدراك الواعي واستخراج مضامينه ومن ثم البرهنة عليها، يقول: (إن العقل لا يكون دليلاً مستقلاً في تفاصيل الأمور الإلهية واليوم الآخر، فلا أقبل منه ما يدل عليه إن لم يصدقه الشرع ويوافقه)[٨٦].

فالعقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، وهو غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحدة عن دركها[٨٧]. يقول:

(بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟ فرضي الله عن الإمام مالك ابن أنس حيث قال: أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء، وكل من هؤلاء خصوم بما خصم به الآخر، وهو من وجوه:

أحدهما: بيان أن العقل لا يحيل ذلك.

الثاني: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل.

الثالث: أن عامة هذه الأمور قد علم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بها بالاضطرار كما أنه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان، فالتأويل الذي يحيلها عن هذا بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية.

الرابع: أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك التفصيل، وإنما يعلمه مجملاً)[٨٨].

فالتوافق بين الدليلين ظاهراً وكل ما دار من نزاع إنما هي شبهات أُثيرت نتيجة للعوامل السالف بيانها، فما كان في الشرع أفسد فهو بالعقل السليم والفطرة أفسد، فالله فطر عباده على الحق والرسل الكرام جاءت بذلك وتمامه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ المائدة، آية ٤٨.

فالمحاولة التوفيقية بين العقل والنص كان غاية معظم الفرق من أهل الكلام والمدارس الفلسفية، لكن ما يميز محاولة شيخ الإسلام ابن تيمية المبثوثة في معظم كتبه، وخاصة كتابه " درء تعارض العقل والنقل " أنه لا يجعل للعقل السلطة والاستقلالية الكاملة على النص، وإنما حفظ للعقل دوره الذي منحه إياه النص في الفهم والتدبر. فالذين يدّعون العقليات التي تعارض السمعيات هم من أبعد الناس عن موجب العقل ومقتضاه كما هم من أبعد الناس عن متابعة الكتاب المنزل والنبي المرسل، وأن نفس ما به يقدحون في أدلة الحق التي توافق ما جاء به الرسول لو قدحوا به فيما يُعارض ما جاء به الرسول لسلموا من التناقض، وصح نظرهم وعقلهم واستدلالهم، ومعارضتهم صحيح المنقول وصريح المعقول بالشبهات الفاسدة[٨٩].

المبحث الثاني: دور المعرفة العقلية في العقائد عند شيخ الإسلام.

المعرفة هي إدراك للشيء بتفكر وتدبر، وهي أخص من العلم، ويضادها الإنكار، فيقال: فلان يعرف الله، ولا يقال : فلان يعلم الله، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا، ولما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصّل به بتفكر[٩٠].

فإذا كانت وسيلة هذا الإدراك والتدبر هو العقل، فإلى أي مدى يمكن للعقل أن يقدم لنا معارف في مسائل العقائد وجوانبها الثلاثة: الإلهيات، النبوات، السمعيات. ولقد تبين مما سبق حجية الدليل العقلي عند شيخ الإسلام، وعدّ العقل السليم مصدراً من مصادر المعرفة التي يمكن الوثوق بها، لأنها لا تخالف نصاً صريحاً. فالإيمان

بالدليل العقلي السليم عنده هو إيمان بالنص الصحيح؛ لأن مثل هذه المسائل عرضها القرآن الكريم على العقول بأسلوب خاطب فيه العقول والفطر السليمة، وقد كشف رحمه الله عن ذلك بقوله: (لقد تأملته- ويقصد العقل- في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد، والصفات، ومسائل القدر، والنبوات، والمعاد، وغير ذلك، ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه، إما حديث موضوع، أو دلالة ضعيفة، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضته العقل الصريح، فكيف إذا خالف صريح المعقول، ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول، بل بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته)[٩١]. ولما كان الحديث عن مسائل العقائد في الإلهيات، النبوات، والسمعيات، من مسائل الغيب المطلق التي لا مجال للعقل الخوض في حقائقها وإدراك كنهها وكيفيتها إلا من خلال هدي النص الصحيح، فالإيمان بها لم يكن متوقفاً على إدراك العقل للكنه فيها، وإنما على ورود الدليل السمعي الصحيح، يقول رحمه الله: (وخبر الصادق الذي لا يقول إلا حقاً، وأما آراء الرجال فكثيرة التهافت، والتناقض، فأنا لا أثق برأيي وعقلي في هذه المطالب العالية الإلهية، ولا يخبر هؤلاء المختلفين المتناقضين الذين كل منهم يقول بعقله ما يعلم العقلاء أنه باطل)[٩٢].

من هنا نجد أن شيخ الإسلام بعد أن وضع قواعد العقل السالف ذكرها بدأ الحديث عن المعرفة العقلية، حيث أعمل العقل في هذه المسائل من خلال هدي النص الصحيح.

المطلب الأول: دور المعرفة العقلية في مسائل الإلهيات عند شيخ الإسلام.

لقد عرض القرآن الكريم مسائل التوحيد مبيناً لها، وموضحاً لحسنها، ومحذراً منكرها والمخالف لها بأسلوب خطابي استنهض فيه العقول والفطر السليمة مقدماً

للأدلة العقلية على وجود الخالق، فسألهم عن ذلك، وعن مظاهر القـدرة والإبـداع في الخلق، وعن صفات الخـالق، فوجـدنا الفواصـل القرآنيـة (أفـلا تعلقـون)، (ولعلكـم تعقلون)، (إن كنـتم تعقلـون)، (أفـلا تـذكرون)، وغيرهـا، وكلـها خطابـات موجهـة للعقول السليمة التي أودعها الله عز وجل في الناس، فلو لم يكـن للعقـول الاسـتدلال على وجود الله، فلماذا خاطب الله العقل في القرآن، ولما ينظر وبماذا يتفكر؟

ولكن الخالق جل في علاه لما خلق العقل وأركز الفطرة في الناس، وأودع فيها الإقرار بربوبية سبحانه، وتوحيده، ورد كل مظاهر الشرك والتعددية، فما يأتي من العقل السليم يوافق هدي النص الصحيح، فلم يكره الإسلام الناس على الدخول فيه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة، الآية٢٥٦، وعاب على من أدرك وجود خالقه وخالق ما حوله وأنكر ذلك، قال تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾العنكبوت، الآية ٦٣.

فالعقل حجة في إثبـات وجـوده تعـالى ونفـي الشـريك، ومـع هـذا التوظيـف والتكليف القرآني للعقـل في مسـائل التوحيـد والعقائـد، إلا أن التكليـف هنـا لـيس تكليف في إدراك الكنه والكيف، بل نهاه عن الخوض في ذلك؛ بل لا يمكن له أن يأتي بشيء فيه، يقول رحمه الله: (على أن الوجوه والأساطين من هؤلاء الفحول معترفـون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهيـة، وإذا كـان هكـذا فالواجـب تلقي علم ذلك من النبوات)[٩٣].

فحديث العقل عن مسائل الألوهية (الذات، الصفات، الأفعال) يأتي ضمن دلالة النصوص الصحيحة، فلا قدرة للعقل في الوصول إلى كيف وكنه تلك المسائل، والخلاف الذي اشتد بين المسلمين قديماً حديثاً عند الحديث عن هذه المسائل إلا لما أطلق العنان للعقل في النظر في كيفها وكنهها، وأدرجوا هذه المسائل ضمن المسائل التي يمكن للعقل الوصول فيها إلى حقائق الكيف، أما النص فجاء بخلاف ذلك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى الآية ١١.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ مريم، أية ٦٥.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ طه، الآية ١١٠.

أولا: أدلة وجود الله عز وجل عند ابن تيمية.

لقد ضرب الله تعالى المثال في القرآن مخاطباً فيه العقول بالبراهين العقلية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر، أية ٢٩.

هنا يبين شيخ الإسلام دور العقل في مسألة الاستدلال على وجود الخالق ويمكن إجماله في أمرين:

١- أن مسألة الاستدلال على وجود الله من الأمور المعلومة بضرورة العقل، فلابد في الوجود من موجود واجب بنفسه قديم أزلي، فإذا كان هذا معلوماً بالفطرة والضرورة والبراهين اليقينية، فنقيضه يُعد من خواطر ووسوسة الشيطان، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم العبد إذا خطر له ذلك أن يستعيذ بالله منه وينتهي عنه، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَأْتِي

الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ)[٩٤]/ [٩٥]. ويقول رحمه الله: (وذلك أنه قد علم بضرورة العقل أنه لابد من موجود قديم غني عما سواه، إذ نحن نشاهد حدوث المحدثات)[٩٦]. بل عدّ شيخ الإسلام أن القول بخلاف ذلك كالقول بإثبات قديم أزلي، ولكن يمكن وجوده ويمكن عدمه قول منكر عند جماهير النظار من المسلمين والفلاسفة، كما هو منكر في فطر العقلاء[٩٧].

إن القول بأن الإله ممكن الوجود، قول يخالف كل الملل والشرائع والفلسفات، فالإله فيها واجب الوجود لا يتصور العقل عدمه في لحظة من اللحظات، ودليل الوجوب إنما هو من الأدلة العقلية على وجود الله وحدوث العالم، فكل ما سواه سبحانه حادث بعد عدمه، والله منزه عن ذلك، لذلك دعا الله الخلق إلى الاعتبار بالعقل المستند إلى الحس، وبين أن ذلك موافق لما جاءت به الرسل من السمع، قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت، الآية ٥٣.

فأخبر أنه سيُري الخلق الآيات الأفقية والنفسية، ما يبين أن القرآن الحق، فيتطابق السمع المنقول وما عرف بالحس المعقول[٩٨].

ومن أفضل ما قدمه الشيخ رحمه الله أن استخرج الدلالة العقلية من مضمون النصوص الصحيحة في معظم المسائل وخاصة في مسائل التوحيد، لذا نجده استحسن تلك الأدلة، يقول رحمه الله:

(وهذا من أحسن ما يُستدل به على التوحيد... فإذا قدر قادران كان اجتماعهما على فعل المفعول الواحد ممتنعاً لذاته بصريح العقل، واتفاق العقلاء، فإن فعل أحدهما له يوجب استقلاله فيمتنع أن يكون له شريك، فضلاً عن أن يكون

هناك فاعل مستقل، ولهذا كان من المعلوم عند العقلاء بصريح العقل أنه يمتنع اجتماع مؤثرين تامين على أثر واحد، وإن شئت قلت: يمتنع اجتماع علتين تامتين على معلول واحد، وإذا كان كذلك فإذا قدر بأن امتنع استقلال كل منهما بفعل شيء واحد، بل إذا فعل أحدهما شيئاً كان الآخر فاعلاً لشيء آخر، وهذا تحقيق قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون، الآية ٩١. وأيضاً فإذا كانا قادرين فإن أمكن أحدهما أن يفعل بدون الآخر أمكن أن يريد ضد مراد الآخر، فيلزم التمانع فإذا وجد مرادهما لزم اجتماع الضدين، وإن لم يوجد مراد واحد منهما لزم عجزهما جميعاً، ولزم خلو المحل من أحد المتقابلين اللذين لا يخلو الجسم عنهما)[٩٩].

٢- إن العقل وإن استدل على وجود الله عز وجل إلا أنه لا يمكن له أن يحيط به إحاطة شمول، وإدراكه للذات من حيث الكيف والكنه – تعالى الله عز وجل عن ذلك- وفي هذا حفظ للعقل من إهدار قدراته المصونة في أمور الغيب المطلق الذي لا يمكنه ولوجها، ولو دخلها بعيداً عن هدي النص، لقدم فيها فكراً ونتاجاً مشوهاً، وانظر فيما قدمته الفلسفة اليونانية حيث نظرت في ذات الإله وصفاته عندهم، فماذا قدمت؟ فهذا أرسطو[١٠٠] أحد أساطينهم يشير إلى أن الإله لا يعقل غيره؛ لأن كثرة المعلومات توجب الكلل والتعب فهو يعقل ذاته فقط، لذا نجد شيخ الإسلام يقول :(والعقل لا يدركه ولا يحيط به إحاطة، وإن أمر بالنظر والتفكير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾)[١٠١].

فالنظر في الذات بدلالة العقل، وبناء الاعتقاد على نتاج المعرفة العقلية المتحصلة أمر محال، فهو باب لا يمكن ولوجه والنظر فيه بمجرد الملكات العقلية المتفاوتة بين الناس، والمتأثرة بالعوامل والظروف، فماذا سيأتي العقل بمعرفة عن

الذات، أو العرش،، والعلو، والرؤية، إذا لم تكن هناك هداية وحي نص صحيح من الله؟! فمن أنكر رؤية الله عز وجل يوم القيامة زعم أن العقل يحيلها وأنه مضطر فيها إلى التأويل، يقول رحمه الله: (ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل، ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله)[١٠٢].

ويقول رحمه الله: (كذلك علوه على المخلوقات ومباينته لها مما يعلم بالعقل كما أثبته بذلك الأئمة مثل أحمد بن حنبل وغيره، ومثل عبد العزيز المكي، وعبد الله بن كلاب، وكذلك إمكان الرؤية يثبت بالعقل)[١٠٣].

أما حجية الدلالة المعرفية للعقل فتأتي فيما أثبته السمع، فقد ثبت بالعقل ما أثبته السمع من أنه سبحانه لا كفؤ له، ولا سمي له، وليس كمثله شيء، فلا تجوز أن تكون حقيقته كحقيقة شيء من المخلوقات ولا حقيقة شيء من صفاته، كحقيقة شيء من صفات المخلوقات، فيعلم قطعاً أنه ليس من جنس المخلوقات، ولا الملائكة، ولا السموات، ولا الكواكب، ولا الهواء، ولا الماء، ولا الأرض، ولا الأدميين، ولا أبدانهم، ولا أنفسهم، ولا غير ذلك، بل يعلم أن حقيقته عن مماثلة شيء من الموجودات أبعد من سائر الحقائق وأن مماثلته لشيء منها أبعد من مماثلة حقيقة شيء من المخلوقات لحقيقة مخلوق آخر، فإن الحقيقتين إذا تمثلتا جاز على كل واحدة ما يجوز على الأخرى، ووجب لها المحدث المخلوق، من العدم والحاجة، وأن يثبت لهذا ما يثبت لذلك من الوجوب والفناء، فيكون الشيء الواحد واجباً بنفسه، غير واجب بنفسه، موجوداً معدوماً، وذلك جمع بين النقيضين[١٠٤].

ثانياً: صفات الله عز وجل وأفعاله.

لقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة بالحديث عن صفاته سبحانه وتعالى وأفعاله، وأنه المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل نقص، وجاء العقل يستدل على ما جاء به النص في ذلك، وقد سبق أن أشار الباحث إلى أن النظر العقلي في هذه المسألة يكون ضمن إطار مظلة النص الصحيح، فليس له الحديث عنها دون الرجوع إلى السمع الصحيح، وتمثل دور العقل هنا بأمرين:

أ- صفات معلومة للعقل فكان له الحديث عنها وعن أدلتها ولزومها، وظهرت الأدلة العقلية حول إثبات ذلك، ومنها:

١-إن من الطرق العقلية إلى إثبات الصفات أنه سبحانه لو لم يوصف بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم وصفه بالأخرى، والمقصود هنا أن من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من نظار السنة في الباب أنه لو لم يكن موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت[١٠٥].

٢-العقل يدل على استحقاق الرب لصفات الكمال، فينزهه عن النقائص وهو يوجب أن لا يماثله شيء من المخلوقات لا في ذاته ولا صفاته ولا في أفعاله، فإن المثلين ما يجوز على أحدهما يجوز على الآخر، ويجب له ما يجب له، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، فلو جاز مماثلة شيء من الأشياء له في شيء من الأشياء للزم أن يجوز عليه، ويجب له ما يجب له، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه[١٠٦].

فدلالة العقل كما تقضي أن صفات الكمال يجب اتصاف الرب سبحانه بها، تقضي أيضاً بأنه سبحانه ينزه عن كل نقص وعجز، لهذا يوصف الرب بالرضا والغضب ولم يوصف بالحزن والبكاء، يقول رحمه الله: (ولهذا كان الصواب أن الله منزه عن النقائص شرعاً وعقلاً... إذا عرضنا على العقل الصريح ذاتاً لا علم لها ولا قدرة ولا حياة ولا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر أو لا تقبل الاتصاف بهذه الصفات،

وذاتاً موصوفة، بالحياة والعلم والقدرة والكلام والمشيئة، كان صريح العقل قاضياً بأن المتصفة بهذه الصفات لا تتصف بهذه أو لا تقبل الاتصاف بها، ومعلوم بصريح العقل أن الخالق المبدع لجميع الذوات وكمالاتها أحق بكل كمال، وأحق بالكمال الذي باين به جميع الموجودات وهذا الطريق ونحوه ما سلكه أهل الأثبات للصفات)[١٠٧].

فإثبات الشيء يستلزم نفي ضده، فإذا ثبت لله عز وجل العلم نُفي عنه الجهل، وإثبات القدرة تنفي عنه العجز وكل ذلك بدلالة عقلية صريحة.

ب- الصفات الإلهية غير المعلومة بدلالة العقل، ونقصد بذلك الصفات الخبرية التي دار الخلاف حولها، بين التسليم بما جاءت به النصوص دون نفي أو تعطيل مع تنزيهه سبحانه، وبين مؤول للصفات تأويلاً نافياً من خلاله الصفة ظناً منه أن ذلك يوهم التجسيم والتشبيه، وقد تبين سابقاً أن هناك مجالات ليس للعقل اقتحامها، وهذه هي إحداها، فليس للعقل الحديث عن مثل هذه الصفات من خلال تصورات عقلية نتيجة ملكات واجتهادات يصل من خلالها العقل إلى إدراك حقائقها وكنهها، فذاته سبحانه ليس كالذوات، وصفاته كذلك، فلو أراد العقل أن يتحدث عن مثل ذلك فلعله يتحدث من خلال ما يمكن له أن يتصوره وبما يحتفظ به من صورة، وهذا مخالف لدلالة النصوص الصحيحة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى، الآية ١١. فالذي أعطى العقل السلطة والقدرة على الإدراك، كان لابد عنده من أن يدرك العقل الصفات الخبرية، فيتكلم في ما جاء في تلك الصفات، مثل: اليد، العين، القدم، وغير ذلك، فرأى أن يؤول تلك الصفات، فكان من نتائج ذلك نفي تلك الصفات كاليد هي القدرة، والعين الحفظ، فأساس الإشكال هنا هو سلطة العقل

في إدراك تلك الصفات، يقول رحمه الله: (فمنكر الصفات الخبرية الذي يقول: " إنها لا تُعلم بالعقل" يقول: نصوصها مشكلة متشابهة، بخلاف الصفات المعلومة بالعقل – عنده بعقله فإنها عنده محكمة بيّنة، وكذلك يقول: من ينكر العلو والرؤية ومنكر الصفات مطلقاً يجعل ما يثبتها مشكلاً دون ما يثبت أسماءه الحسنى، ومنكر معاني الأسماء يجعل نصوصها مشكلة)[١٠٨]. وكذلك ظنوا أن ما أخبرت به الأنبياء من العرش والكرسي قالوا: العرش هو الفلك التاسع والكرسي هو الثامن، وهذا جهل عقلاً وشرعاً[١٠٩].

المطلب الثاني: دور المعرفة العقلية في مسائل النبوات عند شيخ الإسلام.

لقد كان الدليل العقلي حاضراً في حديث شيخ الإسلام عن مسائل النبوات في مختلف جوانبها كالاستدلال على: ثبوت النبوة، أو علاقة خطاب الأنبياء بالعقل، أو صفات الأنبياء وغير ذلك.

ففيما يخص ثبوت النبوة فإن ما استلزم ثبوت شيء وصدقه استلزم كذب نقيضه، وكان عدم اللازم مستلزماً لعدم الملزوم، فما كان مستلزماً لثبوت النبوة وصدق المخبر بها كان مستلزماً لكذب من نفاها فامتنع أن يكون موجوداً مع من نفاها، وامتنع أن يكون موجوداً مع انتفائها، فإن ذلك يستلزم الجمع بين النقيضين... فإن نبوة الشخص لا تثبت إلا مع ثبوت جنس النبوة، فيمتنع وجود ذلك الدليل مع عدم النبوة، وثبوت أحد النقيضين مستلزم لنفي الآخر، فثبوت صدق المخبر بثبوتها مستلزم لكذب المخبر بانتفائها، فهذا أمر عقلي مقطوع به معلوم بالبديهة بعد تصوره في جميع الأدلة أدلة النبوة وغيرها.[١١٠] كالمتنبي الذي يدعي النبوة ولا نبوة معه، فلا يتصور أن يكون معه ولا مع المصدق بنبوته شيء من دلائل النبوة لا عقلية ولا سمعية.

أما خطاب الأنبياء عليهم السلام فقد قام على البراهين العقلية السليمة، ومخاطبة الفطر السليمة، ولفت الأنظار إلى عالم الشهادة، فالرسل عليهم السلام بُعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها، لا بتغييرها وتحويلها[١١١].

فكانوا أكثر تقديراً وتوظيفاً للعقل في مجتمعات الدعوة، من حيث توظيفه فيما هو مجاله لإدراك الحقائق والأسرار، وتقديراً له من حيث صونه عن التقليد والضلال والخرافة. ولما كان مصدر الرسالات السماوية واحد وهو الله عز وجل، وموضوعها واحد، لم تأت رسالة من الرسالات بما تخالف دلالة العقل السليم، ويناقض الفطرة، وإنما نجد خطابها يستنهض العقل، ويمنحه الرشد والرفعة، فمن مقاصدها حفظه وتملكه للمعارف التي يعجز عن إدراكها كما في مسائل الغيب المطلق. ثم إن الأنبياء عليهم السلام جاءت لتخبر بمحارات العقول أي الأمور التي لا يمكن للعقول إدراكها، ولم تأت بمحالات العقول، أي الأمور التي يمتنع بدلالة العقل السليم، بل ويستحيل وقوعها؛ لأنه سبق وتبين أنه لا تعارض بين الدلالتين القطعيتين حتى ولو كانت إحداها سمعية والأخرى عقلية، يقول رحمه الله: (وأما هؤلاء، فبين أن كلامهم الذي يعارضون به الرسول باطل لا تعارض فيه، ولا يكفي كونه باطلاً لا يعارض، بل هو – أيضاً – مخالف لصريح العقل، فهم كانوا يدّعون أن العقل يناقض النقل فيبين أربع مقامات: أن العقل لا يناقضه، ثم أن العقل يوافقه، ويبين أن عقلياتهم التي عارضوا بها النقل باطلة، ويبين أيضاً أن العقل الصريح يخالفهم... فلا يكفي فيه أنه باطل لم يدل على الحق، بل دل على الباطل الذي يعلمون هم وسائر العقلاء أنه باطل ولهذا يقال في أصولهم: "ترتيب الأصول في تكذيب الرسول" ويقال أيضاً: هي" ترتيب الأصول في مخالفة الرسول والمعقول").[١١٢]

وأشار رحمه الله تعالى إلى أن من خالف الأنبياء عليهم السلام أفسد الحس والعقل كما أفسد الأدلة السمعية، يقول: (وكل ما خالفوا به الشرع فقد خالفوا به

العقل أيضاً، فإن الذي بعث الله به محمداً وغيره من الأنبياء هو حق وصدق، وتدل عليه الأدلة العقلية، فهو ثابت بالسمع والعقل، والذين خالفوا الرسل ليس معهم سمع ولا عقل).[١١٣]

ومن هنا نجد شيخ الإسلام يوثق العلاقة بين خطاب الأنبياء عليهم السلام ودلالة العقل السليم، وصولاً إلى إبطال المواقف المناهضة للرسل باسم العقل والبراهين العقلية، فلم تحجر الأنبياء على العقول، بل استنهضتها لتعمل معه ومن خلاله في استخراج الأحكام وسبل الهداية، فالأصل النص ثم يأتي العقل تبعاً له. وهو مدخل بالغ في معرفة المزيد، فالعلم بيان الله، والعقل حجة الله، والرسل هم الحجة الظاهرة المبلغة عن الله مراده، والمخبرة بأمره، والداعية إلى سبيله، ولما كان سبحانه لا سبيل إليه، ولا عقول تشرف عليه، ولا طاقة لنا إلى استماع كلامه، لم يكن بد من بعث الرسل لنعلم منها مراد الربوبية منا، وليس هذا للعقل، وإنما للعقل الزوائد والتصرف في المراد والمخبر عنه الرسل[١١٤].

أما فيما يخص صفات الأنبياء عليهم السلام، فقد أَولى الحديث عنها كثيراً وخص صفة العصمة، وصفة والفطانة كثيراً، ذاكراً إجماع العقلاء على حُسن صفات الأنبياء، يقول: (إن الأنبياء عدد كثيرون، وهم بإجماع العقلاء في غاية الكمال والعقل، والعلم، والعدل، والصدق، والأخلاق الحسنة).[١١٥]

وأشار رحمه الله إلى أن عصمة الأنبياء ثابتة بدليل الشرع والعقل والإجماع.[١١٦] ومقتضى العصمة أنه لا يجوز أن يصدر عنه خبران ولا أمران متناقضان في الحقيقة إلا وأحدهما ناسخ والآخر منسوخ.[١١٧]

وإذا نظرنا في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على الخصوص فقد ذكر جملة من الأدلة على صدق نبوته وعمومها، فعند محاجته للأهل الكتاب في ذلك قال :

(وتُعلم – أي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم- بكل طريق تعلم بها نبوة موسى وعيسى عليه السلام وزيادة، فلا يمكن القول أنهما نبيان دونه لأجل ذلك)[١١٨]. ثم إنه لا يعقل مع عِظم أمره صلى الله عليه وسلم، وانتشار دينه، واشتهار أحواله، بما لم يماثله نبي قبله، أو دين سماوي كان قبل إرساله، إذ كيف يستقر في العقل إهمال الأنبياء مع هذه الأمور والبشارة به.[١١٩] وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لا نجد فيه أمراً قد أمر به وقضى العقل السليم بعد الاطلاع وإعمال الفكر بتركه، ولم ينه صلى الله عليه وسلم عن أمر إلا ودل العقل والفطرة السليمة على المصلحة في ذلك عاجلاً أم آجلاً، من هنا وجدناه صلى الله عليه وسلم يدعو الناس بالمعقول السليم ويخاطبهم به، ويناشد الفطرة السليمة، ويكشف عما علق بها، فوجدنا التوافق بين دلالة النص والعقل والفطرة، ولم تظهر الجدليات العقلية الفاسدة والخطاب العقلي الشاذ عن كل معقول إلا بعد ظهور الأثر الخارجي لعلم الكلام، حيث حاول أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكذلك أصحاب الفكر الديني الوضعي إدخال عقائدهم الفاسدة إلى المسلمين بقصد إثارة الفتن، وهدم أصول عقيدة التوحيد، مرة باسم العقل، وأخرى بتأويل النصوص وصرفها عن معانيها ومقاصدها، فظهرت مسائل أشعلت في الأمة نار الفتنة، وظهرت مسائل جسام، يقول رحمه الله: (فما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، وهو ثابت في نفس الأمر، سواء علمنا صدقه أو لم نعلمه، ومن أرسله الله تعالى إلى الناس فهو رسوله سواء علم الناس أنه رسول أو لم يعلموا، وما أخبر به فهو حق، وإن لم يصدقه الناس، وما أمر به عن الله فالله أمر به، وإن لم يطعه الناس، فثبوت الرسالة في نفسها، وثبوت صدق الرسول، وثبوت ما أخبر به نفس الأمر ليس موقوفاً على وجودنا، فضلاً من أن يكون موقوفاً على عقولنا، أو على الأدلة التي نعلمها بعقولنا).[١٢٠]

لعل ما أشار إليه شيخ الإسلام هنا هو ما نجده في زماننا هذا، حيث يجعل البعض حديث النبي صلى الله عليه وسلم موقوفاً على مدى قبول عقولهم له، ومراعاته لهواهم، فإذا خالف ذلك ردوه، وقصروا حكمه على زمان النبي صلى الله عليه وسلم، بدعوى عقلية فاسدة يحكمها هوى النفس، ووسوسة الشيطان، وضعف العقل. فدور العقل السليم في خطاب النبوة هو دور معرفي عظيم، بل دور تكليفي تمثل بالنظر السليم في خطابهم الذي هو وحي من الله، فوقف العقل على أحكامه ومقاصده الذي كفل سعادة الدارين. فحجية المعرفة العقلية في مسائل النبوات تظهر من خلال:

١- دلالة العقل على صحة مبعث الأنبياء عليهم السلام، والحاجة إلى ذلك.

٢- موافقة دلالة العقل السليم لما جاءت به الأنبياء عليهم السلام، فلم يعارض العقل حكماً جاء به نبي، ولم ينه نبي عن شيء وقال العقل السليم ليته لم ينه عنه.

٣- لم يخالف العقل أياً من مفردات ومسائل النبوات، فكل ما جاء في باب النبوات نجد العقل يقضي به، فقضى بضرورة القول بعصمة الأنبياء وفطانتهم وكل ما هو واجب في حقهم، ولو لم يكونوا كذلك لما صح عقلاً مبعثهم؛ لأنهم جاءوا لمخاطبة الناس خطاب بيان وإفهام، فلا بد فيه من أن يكون النبي معصوماً، فطناً، بريئاً من كل خوارم المروءة وغير ذلك. بل إذا نظر العقل في المعجزة نجده يقضي بإمكانها، ولم يقض باستحالتها؛ لأنها فعل لله عز وجل يجريه على يد مدعي النبوة لإظهار صدقه، فليست فعلاً للنبي، لذا وجدنا الفلاسفة يقولون بإمكانها، ولكنهم أرجعوها إلى القوى النفسية للأنبياء عليهم السلام وهذا مخالف لصحيح الاعتقاد. يقول رحمه الله: (وكذلك يظن ما ذكره ابن سينا وأمثاله من أن الغرائب في هذا العالم سببها قوة فلكية أو طبيعية أو نفسانية، ويجعل معجزات الأنبياء من باب القوى النفسانية وهي من جنس السحر، لكن الساحر قصده الخير وهذا كله

من الجهل بالأمور الكلية المحضة بالموجودات وأنواعها، ومن الجهل بما جاء به الرسول فلا يعرفون من العلوم الكلية ولا العلوم الإلهية إلا ما يعرفه الفلاسفة المتقدمون وزيادات تلقوها عن بعض أهل الكلام أو من أهل الملة)[١٢١].

المطلب الثالث: دور المعرفة العقلية في مسائل السمعيات عند شيخ الإسلام.

أما عن دور العقل في السمعيات فهو تلقي خبر الشارع الكريم بالتسليم لعدم ورود المعارض العقلي، ولموافقته الحكمة والمنفعة، فلقد جاءت الأخبار السمعية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، بما حصل للأمم السابقة والأفراد، وعقّب على الآيات بما يشير إلى إعمال النظر والفكر والتدبر، وأخذ العبر والعظات، فكلف العقل هنا تكليفاً، وأُقيمت عليه الحجة بتلك الأخبار؛ لأنه أوجب عليه النظر والفكر. أما فيما يخص الإيمان باليوم الآخر، فكما هو معلوم بالدين بالضرورة أن الإيمان به وبأهواله، وبالجنة والنار ركن من أركان الإيمان كما هو ثابت بنص القرآن الكريم والسنة المطهرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء، الآية٥٩. فتمثل دور العقل هنا بالعمل في ظل ما ثبت بالسمع الصحيح، فأُقيمت الحجج العقلية على معظم باب السمعيات حتى عند أهلل الملل، بل وأصحاب الفكر الديني الوضعي حيث أفردوا باباً في عقائدهم الوضعية ليوم الجزاء والنعيم والعقاب الماديين، ومحاجة المنكر والمخالف في ذلك، فخرجت علينا بحوث نفسيه عند الغرب تتحدث عن الوجود الحقيقي وهو اللاشعور وليس الجسم المادي، فهو متغير، وكذلك بحوث اجتماعية أخلاقية سلوكية تشير إلى أثر الإيمان باليوم الآخر وتنظيم الحياة، ولكن العقل هنا ليس له تصور كنه وكيف أهوال اليوم الآخر، ولكنه آمن بوقوعها وإمكانها عقلاً. ولما عرضت الآيات الكريمة مسألة البعث نجدها قد عرضتها بصورة البرهان العقلي الذي يتماشى والمقدمات العقلية والفطر السليمة، قَالَ

تَعَالَىٰ:﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء، الآية ١٠٤. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ الأسراء، الآية ٥١. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ يس، الآيتان ٧٨-٧٩. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ سورة البقرة، أية ٧٣. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَبْلَى، وَيَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ"[١٢٣].

فالأحياء بعد الإماتة أمر ممكن، فالذي خلق أول مرة من العدم ومن غير مادة يستطيع إعادته بعد الإماتة، فوجوده أول مرة من العدم أمر قام عليه الدليل والحس فلا مجال لإنكاره، والخلق من العدم ومن

غير مثال سابق أصعب في نظرنا من الإعادة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الروم، أية ٢٧.

فإنكار البعث إذاً هو شك في قدرة الله الذي خلق أول مرة، علماً أن الجسم الحي في حال بناء وهدم لملايين الخلايا في الثانية الواحدة، فلم يكن البعث من الأمور المستحيلة عقلاً، ثم تقدم لنا النصوص القرآنية برهاناً آخر على إمكان حدوث البعث، وهو قوله تَعَالَىٰ:﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الروم، أية ٥٠.

فانظر إلى دور العقل والمعرفة العقلية في بيان أصول الاعتقاد المتعلقة باليوم الآخر وإخراجها من حكم المستحيل إلى حكم الإمكان، فكما هو معلوم أن الأحكام العقلية ثلاثة[١٢٣]:

- الممكن: هو الذي لا يوجد إلا بموجد يوجده.
- الواجب: هو الذي يكون وجوده بنفسه لا بموجد يوجده، ولا يكون مفتقراً إلى فاعل.
- المستحيل: ما لا يتصور العقل وجوده.

فالبعث والحشر وأحداث اليوم الآخر ليس من قبيل الأمور المستحيلة؛ لأن الاستحالة تتعلق بأمور لا تقبل الوجود لذاتها، فما لا دليل على وجوبه ولا امتناعه هو الممكن، وكذلك عند عرض مسألة الروح مثلاً نجد نصوص القرآن الكريم تعرضها بصورة مكلفة للعقل بالإيمان بها دون أن تكلفه بالخوض بالكنه والكيف، فرفعت عنه مشقة ذلك؛ لأنه لا يملك أداة البحث في ذلك؛ لأنها فوق العقل ومما لا مجال له الخوض فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ الإسراء، الآية ٨٥. فعجز العقل عن تصورها تصوراً محسوساً ليس عذراً له في إنكارها؛ لأنها ثبتت بنصوص قطعية يقينية، أما حقيقتها فهي من المسائل التي خرجت من ميدان العقل، وإن ما زالت عقول كثير من الناس تبحث في ماهيتها، إلا أنها من أمر الله عز وجل، فلا دور العقل هنا إلا التسليم، فالمعرفة العقلية في باب السمعيات تتمثل بالإيمان بكل ما ثبت بالسمع الصحيح والعمل بمقتضاه، وليس له البحث في الكيف والكنه إلا ضمن دلالة النصوص، يقول رحمة الله: (ومنكر معاد الأبدان، وما وصف به الجنة والنار يجعل ذلك مشكلاً أيضاً، ومنكر القدر يجعل ما يثبت أن الله خالق كل شيء وما شاء كان مشكلاً)[١٢٤]. وكذلك الأمر

عند الحديث عن الملائكة يقول: (فالملائكة التي أخبرت بها الرسل وإن كان بعض من يريد الجمع بين النبوة والفلسفة يقول: إنها العقول فهذا من أبطل الباطل، فبين ما وصف الله به الملائكة في كتابه، وبين العقول التي يثبتها هؤلاء من الفروق ما لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته)[١٢٥]. فالملائكة التي أخبرت بها الرسل أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله وهم كثيرون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ المدثر، أية ٣١، وليسوا عشرة، وليسوا أعراضاً، ولا سيما وهؤلاء يزعمون أن الصادر هو العقل الأول، وعنه صدر كل ما سواه، فهو عندهم رب كل ما سوى الله، وكذلك كل عقل رب كل ما دونه، والعقل الفعال العاشر رب كل ما تحت فلك القمر، وهذا مما يُعلم فساده بالاضطرار من دين الرب، وليس أحد الملائكة مبدعاً لكل ما سوى الله[١٢٦].

والله عز وجل وصف الملائكة بصفات تخالف قول الفلاسفة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ الأنبياء، الآيتان ١٩-٢٠. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الأنبياء، الآيات٢٦-٢٩.

أما حديثهم عن الجن فكما كانوا يذكرون الملائكة على أنهم العقول والنفوس، كذلك الجن والشياطين عندهم هي أعراض قائمة بالنفوس[١٢٧]. وهذا مخالف تمام المخالفة لصحيح المنقول، حيث جاء ذكر الجن والشياطين في القرآن والسنة بمواطن متعددة، يقول رحمه الله: (من المعلوم بالاضطرار أن الرسل أخبرت بالملائكة والجن، وأنها أحياء ناطقة بأنفسها، وليست أعراضاً قائمة بغيرها، وأخبروا بأنهم يأتون بأخبار الأمور الغائبة، وأنهم يفعلون أفعالاً خارجة عن قدرة البشر)[١٢٨].

فالأشكال هنا عند العقول هو عجزها عن تصور تلك المخلوقات وهي لم تُكلف بذلك، فلم تكتف بالإيمان، بل تجاوزت ذلك إذ قدمت تصورات شاذة ومخالفة أو قالت بإنكارها، وكذلك الأمر في الحديث عن أحداث اليوم الآخر، فإذا أراد أن يتحدث عن أرض الحشر مثلاً يتكلم بما يتصور من صور للأرض، وهذا غير معقول، وهذا ما جعل الفلاسفة ينكرون النعيم والعقاب الماديين يوم القيامة، وبذلك ردوا كل النصوص الثابتة في ذلك وصاروا إلى تأويلها. علماً أن النعيم والعقاب الماديين من المسلمات عند أهل الملل أصحاب الفكر الديني الوضعي، يقول رحمه الله:(واعلم أنه ليس في العقل الصريح، ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا...بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد، والأكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك...فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟!).[١٢٩]

المبحث الثالث: دور المعرفة العقلية في الدعوة إلى الله والرد على المخالفين عند شيخ الإسلام.

لقد ترك شيخ الإسلام رحمه الله تراثاً واسعاً في الدعوة إلى الله سواء أكان موجهاً إلى المسلمين أم إلى غيرهم، ووضع في ذلك مؤلفات عديدة خاصةً فيما هو موجه إلى أصحاب البدع والضلالات من الفرق وأهل الكتاب، وقد كان رحمه الله على دراية واسعة بأحوال أصحاب الديانات والملل من غير المسلمين، وكذلك بأحوال الفرق والمدارس الفلسفية، فأشار إلى مسمياتها، وتاريخ نشأتها، وأسباب ذلك، وأصولها الاعتقادية، ومصادرها، وناقشها بأدلة من المنقول ومن المعقول. ومما ساهم في نجاح مسيرة الشيخ في ذلك عدة أمور، منها:

١- الاطلاع الواسع على كتب الفرق والديانات والفلسفات، بالإضافة إلى مقابلته ومشافهته لبعضهم ومحاجته علناً، لذلك كان ما كتبه في وصفها حقائق لم يظلم فيها أحد، ولم يؤخذ عليه في ذلك شيء، بل تجلت الأمانة العلمية والنزاهة في

ذلك عنده، يقول رحمه الله: (كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه)[١٣٠].

فقرأ رحمه الله كتب الجهمية والمعتزلة وأهل الكلام والفلسفة والشيعة والنصارى واليهود والصابئة وغيرهم، وكان يشير إلى مصادر أخذه بذكره لمسميات مصادرهم الأولى.

٢- الملكة العقلية والفهم الواسع الذي منحه الله عز وجل إياه[١٣١].

٣- استناده إلى صحيح المنقول وصريح المعقول في الاستدلال، ومحاجة الآخر، فكثير ما كان يستدل بالمعقول؛ لأن المخالف قد لا يُسلم بصحة أو فهم المنقول، ومع ذلك كان يلزمهم بالحجج والبراهين العقلية، من هنا كان رحمه الله واثق النفس، ثابت الخطى، مطمئناً إلى عقيدته وأدلته؛ لأنها مستقاة من القرآن والسنة والعقل السليم والفطرة.

المطلب الأول: دور المعرفة العقلية في الدعوة إلى الله عز وجل عند شيخ الإسلام.

إن الدعوة هي البيان والتبليغ لأحكام الدين، وأصوله، وأركانه، وتكاليفه، والترغيب فيها، والترهيب من مخالفتها، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا البيان والتبليغ هو للمسلم ولغير المسلم. من هنا يظهر لنا الدور الوظيفي للعقل في البيان والتبليغ، وقد أشارت الآيات القرآنية إلى دور العقل والبراهين العقلية في دعوة الآخر إلى الإيمان بالله وتوحيده، وتمثل ذلك في خطاب الأنبياء عليهم السلام وقرر رحمه الله كما تبين سابقاً حجيه العقل السليم في مسائل الاعتقاد، وموافقتها لصحيح المنقول، بل عدّها حجج شرعية ملزمة، فالعقل يهدي إلى الإسلام المودع في الفطر السليمة، يدعو إلى الخير وفضائل الأخلاق. إن الأنبياء عليهم السلام والدعاة من بعدهم اعتمدوا على البرهان العقلي لإثبات صدق دعوى النبوة، ومضمونها من

عقائد وتشريع وأخلاق، بإقناع مجتمعات الدعوة في كل زمان ومكان، وجاء خطاب النبوة موجهاً إلى العقل، مستنهضاً إياه، فدل حكم العقل على قبح ما نهى الشرع عنه، وكانت من الأمور المسلّم بها عند العقلاء من المسلمين وغيرهم، وهو ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)[١٣٢]. لذا أقر صلى الله عليه وسلم العرب قبل الإسلام على بعض الأخلاق والأفعال الحسنة التي كانت عليها لموافقتها للعقل والفطر السليمة. فقد دل العقل على قبح الخيانة والظلم والعدوان وإنكار النعم وسوء الأخلاق، كما دل على ضرورة الإيمان بوجود خالق رازق. ولقد أولى شيخ الإسلام الحديث عن الدعوة وفقهها وأدواتها مساحة واسعة منطلقاً من القول بوجوبها أولاً، ثم تملك أدواتها المعرفية الجزئية والكلية ثانياً، ومؤكداً على دور العقل طالباً من مجتمع الدعوة تحكيم صريح المعقول وثوقاً منه بمدى حجية الدليل العقلي السليم. فالدعوة والمتمثلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله وهو من الدين، وهو بيان لكمال رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف، ونهى عن كل منكر، وأحل كل طيب، وحرم كل خبيث[١٣٣]. فالدعوة إلى الله واجبة على من أتبع النبي عليه الصلاة والسلام، وهم أمته يدعون إلى الله كما دعا هو إلى الله، وكذلك يتضمن أمرهم بما أُمر به، ونهيهم عما نُهي عنه، وإخبارهم بما أخبر به إذ الدعوة تتضمن الأمر، وذلك تتناول الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر.[١٣٤] يقول رحمه الله: (وتحقيق ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾الملك، الآية ٢).[١٣٥]

فدعوة الرسل عليهم السلام جميعاً كانت لتحصيل المصالح في الدنيا والآخرة، ودفع لكل مفسدة وضرر، وقد كلفنا الله عز وجل بذلك تكليفاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران، أية ١٠٤. وهذا التكليف مشروط بالعلم والفقه والقدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهنا يأتي الدور الوظيفي للعقل في الدعوة إلى الله، ببيان الأحكام وفهمها، فكما أن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو ما يميز الشريعة، ولكن يفوز بالنصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام.[١٣٦]

فلا بد من ملكة عقلية تكون عند الداعي يستطع من خلالها الفهم ومن ثم البيان، حيث يقدر الحسنات والسيئات وخاصة عند تعارضهما، فالمعاصي مستقبحة مذمومة في العقل السليم والدين، بعيداً عن الهوى واستدلال العقل المريض، فقد يأتي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معتقداً أنه مطيع لله ورسوله وهو معتد في حدوده، كما نصّب كثيراً من أهل البدع والأهواء نفسه للأمر والنهي كالخوارج والمعتزلة والرافضة[١٣٧]. ففقدان العقل لدوره ووظيفته في فقه وفهم الأحكام، يجعل الناس يفسدون أكثر مما يصلحون، يقول رحمه الله: (وهنا يغلط فريقان من الناس...الفريق الثاني: من يريد أن يأمر وينهى، إما بلسانه، أو بيده، مطلقاً من غير فقه، ولا حلم ولا صبر، ولا نظر، فيما يصلح من ذلك، وما لا يصلح، وما يقدر عليه، وما لا يقدر).[١٣٨]

ولقد أشار شيخ الإسلام إلى حجية العقل في الدعوة إلى الله عز وجل، خاصة عند مخاطبة غير المسلم، فنجده في رسالته التي بعث بها إلى ملك قبرص يدعوه فيها إلى التفكير الحر والإخلاص فيه، يقول: (فإن كان عند الملك من يثق بعقله ودينه، فليبحث معه عن أصول العلم، وحقائق الأديان، ولا يرضى أن يكون من هؤلاء

النصارى المقلدين الذين لا يسمعون ولا يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً)[١٣٩]. فلقد جعل رحمه العقل السليم المنصف الحَكم على مدى صحة أصول الأديان، فلو عرضت عليه أصول المسيحية التي هي عليها الآن من التثليث والصلب والألوهية لما قبلها. من هنا تظهر حجية الدلالة العقلية في الدعوة خاصة مع غير المسلم الذي لا يُسلم بحجية الدليل النقلي عندنا. إن ما قدمه شيخ الإسلام رحمه الله في هذا المجال مما لا يسع المقام لذكره فيه النفع في الدعوة إلى الله في هذه الأيام، وخاصة بيان الدور الوظيفي للعقل بصياغة الخطاب الديني سواء أكان داخلياً أم خارجياً، فنحن بحاجة إلى خطاب ديني في الوقت الحاضر مستند إلى الدليل العقلي السليم. فلا بد من الاستفادة من الأبحاث والاكتشافات العلمية التجريبية، ورفع مستوى الدعاة في هذا الجانب، لما له من أثر إيجابي في الدعوة إلى الله، وليس صحيحاً ما نسب إلى أهل الإسلام عموماً، والسلف خاصةً من تهم مضمونها إغفال العقل وبراهينه اليقينية في الدعوة إلى الله عز وجل وتقليدهم لطرق الشيوخ.

المطلب الثاني: دور المعرفة العقلية في محاجة الفرق عند شيخ الإسلام.

فكما قدم صلى الله عليه وسلم النموذج وكان القدوة في الدعوة، قدم صلوات ربي وسلامه عليه الصورة الأكمل من حيث الموضوع والمنهج في محاجة الفرق، فقد أشار إلى مسألة افتراق أمته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)[١٤٠]، فخرجت كثير من الفرق على أصول دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، ووضعت لها أصول مذهبية معتمدة في ذلك على عقول فاسدة يحكمها الهوى، فما حصل عند بعضهم أنها جعلت العقل المحكوم للهوى هو معيار قبول أصول العقيدة وأحكام الشريعة، فما وافق عقولهم وهواهم قبلوه، وما خالفهما ردوه، ولو كان نصاً

صحيحاً، فقررت كل فرقة أصولها المذهبية، فظهرت أصول المعتزلة، وأصول الشيعة، وأصول الخوارج وغيرها من الفرق، فأصبحت العقائد والأحكام غير منضبطة ولا مستقرة، وكأنها لم تأت عن نبي. ولقد قدم شيخ الإسلام جهوداً كبيرة في محاجة الفرق، فبين نشأتها وأسباب ذلك منذ أيام الفتنة في عهد الخلفاء، وما ترتب على ذلك من نشوء المدارس والفرق الكلامية، كما بين أصولها المذهبية، وأثر أهل الكتاب في نشوء تلك الفرق. وقابل شيخ الإسلام بعض رجالات تلك الفرق وشافههم في أصولهم وجادلهم بالتي هي أحسن مستدلاً بصحيح المنقول وصريح المعقول وكلام السلف الصالح، كما ربط رحمه الله العقليات اليقينية بالنصوص الصحيحة، فوظف العقل التوظيف السليم، وأظهر دور العقل في الاستدلال على بطلان أصولها لمخالفتها لصريح المعقول. ويمكن الإشارة إلى أن دور العقل والمعرفة العقلية عند شيخ الإسلام في هذا المجال يظهر من خلال عدة أمور، منها:

١- البعد عن التعصب، فمعظم الفرق قررت أصولها بناء على تعصب وهوى لأهل بلدتها أو مذاهب شيوخها وطريقتهم، أو لدلالة عقولهم على أمر ما، وهذه هي صفات الجاهلين، فحكّموا عقولهم واتركوا النص، يقول: (ومن العجيب قول من يقول من أهل الكلام: إن أصول الدين التي يكفر مخالفها هي علم الكلام الذي يُعرف بمجرد العقل، وأما ما لا يعرف بمجرد العقل فهي الشرعيات عندهم، وهذه طريقة المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم...فيقال لهم: هذا الكلام تضمن شيئين: **أحدهما**: أن أصول الدين هي التي تُعرف بالعقل المحض دون الشرع.

والثاني: أن المخالف لها كافر، وكل من المقدمتين وإن كانت باطلة فالجمع بينها متناقض، وذلك أن ما لا يعرف إلا بالعقل لا يعلم أن مخالفه كافر الكفر الشرعي، فإنه ليس في الشرع أن من خالف ما لا يعلم إلا بالعقل يكفر، وإنما

الكفر يكون بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه مثل كفر فرعون واليهود).[١٤١]

٢- الاعتماد على الدليل الشرعي بشقيه النقلي والعقلي في محاجة الفرق: فكان واجباً على من أقر أصلاً أو حكماً شرعياً أو أنكره أن يقدم الدليل على ذلك، فلا تصح مسألة الإلزام بلازم القول، فليس لأحد أن يلزم أحداً بشيء ولا يحظر على أحد شيئاً بلا حجة خاصة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله الذي أوجب على الخلق طاعته فيما أدركته عقولهم ما لم تدركه، وخبرهم صدق فيما علمناه وما لم نعلمه[١٤٢].

بالرغم من أن تلك الفرق كانت تدعي الاعتماد على العقل إلا أنها كانت تفتقر للمنهج السليم في الاستدلال السليم، بل كان العقل يبطل ما هم عليه، فأمر المخالفين للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب في أمر اختلاط وريب، فإن من أنكر أن لله علماً وقدرةً، وأنكر حشر الأجساد وغير ذلك يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل، ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله[١٤٣]. فكثير من الفرق لم تُسلم ببعض النصوص أو كانت تتأولها تأولاً مخالفاً لفهم العقل السليم، لذا كان يصير إلى الدليل العقلي السليم، يقول رحمه الله: (وأحمد- رضي الله عنه- قد رد على الجهمية وغيرهم بالأدلة السمعية والعقلية، وذكر كلامهم وحججهم أتم استيفاء، ثم أبطل ذلك بالشرع والعقل).[١٤٤]

فالجهمية والنفاة المعطلة قلبوا حقائق الأدلة والبراهين العقلية والسمعية ثم أدعوا أم معهم دلالات عقلية تعارض الآيات السمعية، فحرفوا الآيات وبدلوها

بالتأويل بعد أن أفسدوا العقول بزخرف الأباطيل... فإذا رأيت الدلائل اليقينية تدل على أن ما أخبر به الرسول لا يناقض العقول، بل يوافقها، وإن ما ادعاه النفاة من مناقضة البرهان لمدلول القرآن قول باطل، وقل لهذه العقول التي خالفت الرسول في مثل هذه الأصول، عقول كادها باريها، واتل قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾الأحقاف، آية ٢٦. قال وهب بن منبه: لو وزن عقل محمد صلى الله عليه وسلم بعقل أهل الأرض لرجح، وإذا كان كذلك امتنع في صريح العقل أنّ من يريد من الناس أن يصدقوه ويطيعوه يذكر لهم ما يوجب في صريح العقل تكذيبه ومعصيته[١٤٥].

المطلب الثالث: دور المعرفة العقلية في محاجة أهل الأديان عند شيخ الإسلام.

لقد منّ الله عز وجل على شيخ الإسلام بملكة عقلية استطاع من خلالها الوقوف على عقائد أهل الأديان، فكان رحمه الله على معرفة بعقائدهم، وترك في ذلك تراثاً شاهداً على ذلك. واعتمد رحمه الله على صريح المعقول في نقاشه لهم وعرض أصولهم، من هنا برزت دور المعرفة العقلية في ذلك، فعند نقاشه للنصارى كان يناقش بالدليل العقلي كحجة ومرجع الفصل في عقائدهم كما في: التثليث، وألوهية المسيح، والصلب، وغير ذلك. يقول رحمه الله: (ونحن – ولله الحمد والمنه- نبين أن كل ما احتجوا به –يقصد النصارى- من حجة سمعية: من القرآن أو من الكتب المتقدمة على القرآن، أو عقلية، فلا حجة لهم في شيء منها، بل الكتب كلها مع القرآن، والعقل حجة عليهم، لا لهم بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء، ومن المعقول فهو نفسه حجة عليهم، ويظهر منه فساد قولهم، مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية، والموازين التي هي مقاييس عقلية).[١٤٦] حيث أشار إلى مخالفة هذه العقائد

الفاسدة لصريح المعقول، يقول رحمه الله: (لا ينضبط لهم قول مطرد كما يقول من يقول من عقلاء الناس: إن النصارى ليس لهم قول يعقله عاقل، وليس أقوالهم منصوصة عن الأنبياء، فليس معهم لا سمع ولا عقل).[١٤٧]وقد تتبع رحمه الله عقائد النصارى وشرائعهم بالبحث والنظر مشيراً إلى ما فيها من فساد وبطلان بإجماع العقلاء، يقول: (قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين).[١٤٨] فرد على دعواهم في ألوهية المسيح والأقانيم الثلاثة عند لنصارى، يقول: (ما لم يعلم بالمعقول، فليس في المنقول ما يدل عليه، وأنتم لا تدعون أنكم عرفتموه بالعقل، لكن بما نُقل عن الأنبياء، وأنتم قد فسرتم كلمته بعلمه وحكمته، وروح القدس بحياته، فمن أي نبي تنقلون أن علم الله وحكمته مولودة منه)[١٤٩].كما بيّن أن قولهم بألوهية المسيح واتحاد الناسوت باللاهوت يناقض العقل، فالمعلوم بصريح المعقول واتفاق العقلاء، أن المخلوق لا قوام له إلا بالخالق، فإن كان الخالق قوامه بالمخلوق، لزم أن يكون كل من الخالق والمخلوق قوامه بالآخر، فيكون كل منهما محتاجاً إلى الآخر.[١٥٠]يقول: (فقولهم: أنه مع الاتحاد إنسان تام وإله تام، كلام فاسد معلوم الفساد بصريح العقل).[١٥١] ثم إن مصير الشيئين شيئاً واحداً مع بقائهما على حالهما بدون للاستحالة والاختلاط ممتنع في صريح العقل، وإنما المعقول مع الاتحاد أن يستحيلا ويختلطا كالماء مع الخمر واللبن)[١٥٢].

وعند حديثه عن التثليث عند النصارى جعل العقل هو الفيصل في ذلك، فيقول: (ويمتنع أن يريدوا بقولهم ما يمتنع بطلانه بسمع أو عقل، فإذا كانت العقول، ونصوص الكتب المتقدمة مع نصوص القرآن تناقض ما ابتدعه النصارى في المسيح، عُلم أن المسيح لم يرد معنى باطلاً يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول).[١٥٣]

بل جميع ما أثبتوه من التثليث والحلول والاتحاد ليس في كتب الأنبياء التي بأيديهم ما يدل عليه، بل فيها أقوال كثيرة صريحة بنقيض ذلك مع القرآن والعقل، فهم مخالفون للمعقول وكتب الله المنزلة.[١٥٤]

وقد رد رحمه الله على شبه النصارى وأباطيلهم حول الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، مثبتاً عموم رسالة الإسلام، وخصوصية دعوة الأنبياء عليهم السلام، معتمداً في ذلك على النصوص النقلية من القرآن والسنة وبعض نصوص كتب أهل الأديان القديمة، والعقل. فكان للعقل وأحكامه دور بارز في ذلك، ومثال ذلك رده رحمه الله تعالى شبهة النصارى في دعواهم أن القرآن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول: (إنه إذا كان ما جاء به متناقضاً لم يكن رسول الله، فإن ما جاء به من عند الله لا يكون مختلفاً متناقضاً، وإنما يتناقض ما جاء من عند غير الله)[١٥٥].

فإن كان هناك تناقض لم يجز للعقل الاحتجاج به، وإن لم يكن هناك تناقض ثبت ما فيه. وإذا نظرنا في كتاب الله عز وجل فلا نجد فيه تناقض، فيثبت أنه من عند الله ودليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم. ولقد تتبع رحمه الله أقوال فرق النصارى مشيراً إلى اختلافها وفسادها ومخالفتها لصحيح المنقول وصريح المعقول.

لمطلب الرابع: دور المعرفة العقلية في محاجة الفلاسفة عند شيخ الإسلام.

يظهر دور المعرفة العقلية وحجية الدليل العقلي عنده رحمه الله بصورة أجلى وأشد عند محاجة الفلاسفة، وبيان عور مقولتهم في المسائل الدينية والطبيعية، فوقف على دقائق أصولهم الفلسفية وجذورها، وكانت لديه معرفة دقيقة بها، فعرض آراء أساطينهم بكل أمانة، فكانت دراسته لهم دراسة استيعاب وتمحيص، فناظر المعاصرين من أرباب الفلسفة، وعرض أقوال من سلف منهم من مصادرها، ثم نقدها بالدليل

والبرهان العقلي، وبيان ما بينها من تفاوت وتناقض، يقول رحمه الله: (أما الفلاسفة فلا يجمعهم جامع، بل هم أعظم اختلافاً من جميع طوائف المسلمين والنصارى)[١٥٦].

ويقول: (وقد ذكرت كلام أرسطو نفسه الذي ذكره في "علم ما بعد الطبيعة" في مقالة اللام وهو آخر منتهى فلسفته، وبينت ما فيه من جهل)[١٥٧]، وبيّن أن ما قاله أرسطو قد خالف به جمهور الفلاسفة.

وكانت الانطلاقة الأولى لشيخ الإسلام معهم تبدأ من تعريفهم للعقل عندما اعتبروه جوهراً قائماً بنفسه، وقد تأسس على ذلك عندهم بعض العقائد الفاسدة كنظرية العقول العشرة والفيض ليفسروا خلق العالم، علماً بأن هذه النظرية تخالف أصول الدين وصريح المعقول، فالعقل عندنا كما أوضحه رحمه الله أنه غريزة فطرية في الإنسان يستطيع من خلاله الفرد أن يميز بين الخير والشر، والحق والباطل، وأشار إلى أن ذلك هو مذهب السلف، ولا يعني رفضه لمذهب الفلاسفة في تعريف العقل أنه رفض العقل وحجيته في المعارف، وهذا ما حصل عند بعض ضعاف النفوس حيث نسبوها تهمة لشيخ الإسلام. ولقد خاض رحمه الله مع الفلاسفة نقاشاً في قضايا كثيرة، منها:

١- مدى موافقة مقولة الفلاسفة المسلمين واستدلالهم العقلي للنصوص الصحيحة كما وردت في القرآن الكريم، أو كما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث، وكذلك مدى موافقة دليل الفلاسفة غير المسلمين للدليل العقلي الصحيح، فأشار شيخ الإسلام إلى أنهم لم يحققوا ما أخبرت به الرسل عليهم السلام ولم يعلموه ولم يؤمنوا به ولا حققوا بموجبات المعقول، فنقصوا في علمهم بالسمعيات والعقليات وإن كان لهم فيها نصيب كبير، فوافقوا ما قالوه الكفار الذين قالوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك، أية١٠،

فرّعوا من الكلام في صفات الله وأفعاله ما هو بدعة مخالفة للشرع، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فهي مخالفة للعقل كما هي مخالفة للشرع، والقول كما كان أفسد في العقل، كان أفسد بالشرع، فإن الحق لا يناقض، والرسل إنما أخبرت بالحق[١٥٨]. ويقول رحمه الله: (فكانوا في مخالفة المعقول بمنزلتهم في مخالفة المنقول وقابلتهم الملاحدة المتفلسفة الذين هم أشد مخالفة لصريح المنقول وصريح المعقول)[١٥٩].

وفسر شيخ الإسلام اضطراب عقول الفلاسفة الذي ظهر من خلال مذاهبهم في الإلهيات والسمعيات والمنطق والطبيعيات هو بُعدهم عن الشرائع، فلما كانوا عن الشرائع أبعد كان اضطرابهم في عقلياتهم أكثر، فإن بينهم من الاختلاف في عقلياتهم[١٦٠]. فلا تعارض بين السمع الصحيح والعقل صريح، وقد يُتوهم التعارض من غلط في مدلول أياً منهما، كمن يعارض الدلالات العقلية الصريحة من السوفسطائية وأمثالهم، ومن يظن تعارض الأدلة السمعية من الملاحدة، وكثيراً ما يشتبه ذلك وتتعارض الدلالتان عمنّ يُكن السفسطة والإلحاد لشبه قامت به، فتكون الآفة من إدراكه لا من المدرَك[١٦١].

وذهب بعض فلاسفة المسلمين مذاهب فلاسفة اليونان، وقالوا بمقولاتهم التي تخالف صريح المعقول وصحيح المنقول. ولثقة شيخ الإسلام بالعقل السليم، ولعلمه بمذاهب اليونان المختلفة، طلب من الفلاسفة المسلمين الاحتكام إلى مذاهب اليونان الأولى التي توافق الشرع؛ وذلك لأنها خرجت من عقل سليم، فلا تعارض إذاً مع النص الصحيح، يقول: (ولهذا كان جماهير الأمم يقولون كل ممكن أن يوجد وأن لا يوجد فلا يكون إلا حادثاً، وإنما ادعى وجود ممكن قديم معلول طائفة من المتأخرين كابن سينا ومن وافقه زعموا أن الفلك قديم معلول لعلة قديمة، وأما الفلاسفة القدماء فمن كان منهم يقول بحدوث الفلك وهم جمهورهم، ومن كان قبل أرسطو، فهؤلاء

موافقون لأهل الملل ومن قال بقدم الفلك كأرسطو وشيعته).[١٦٢] ولعل من صح قوله من أساطين اليونان القدماء هو اختلاطهم ببعض أهل الشرائع السماوية عند هجرتهم إلى أرض الأنبياء كسليمان وداود عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء. فكما بيّن شيخ الإسلام مدى التوافق بين صريح المعقول وصحيح المنقول، نجده يفسر ظاهرة تعارض الدليلين العقلي والنقلي عند الفلاسفة المسلمين التي ترتب عليها محاولتهم للتوفيق بين الدين والفلسفة والتي كان نتيجتها رد النصوص أو تأويلها التأويل الفاسد في مقابل إخراج ما دلّت عليه عقولهم فقد، وإن خالف ذلك صريح المعقول عند الآخرين، يقول رحمه الله: (إن طائفة كابن سينا وأمثاله الذين أرادوا أن يجمعوا بين قول سلفهم "اليونانيين"، وبين ما جاءت به الرسل مع دلالة العقول عليه، فلم يمكنهم ذلك إلا بما خالفوا به الرسل مع مخالفة العقول، مع مخالفة سلفهم فيما أصابوا فيه وموافقتهم فيما أخطأوا فيه، وكان كفراً في الملل مع تناقضهم ومخالفة جميع العقلاء).[١٦٣]

ولقد وصلت قداسة العقل عند الفلاسفة إلى ما أشاروا به من نسبة الخطأ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم بعصمة الله له، فأولوا خطاب النبوة بما يتفق والعقل صاحب السلطة المطلقة على قبول النص عندهم، ثم ظنوا أنهم بذلك قد وفَّقوا بين النص والعقل، فالفارابي وابن سينا أشاروا إلى أن الرسل إنما خاطبت الناس بما يخيل إليهم من أمور تنفعهم باعتقادها بالإيمان بالله واليوم الآخر، وإن كان ما يعتقدون من تلك الأمور باطلاً لا يطابق الحقيقة في نفسه، والخطاب الدال على ذلك كذب في الحقيقة عندهم، ولكنه يسوغ الكذب الذي يصلح به الناس، ومن تحاشى منهم على إطلاق الكذب على ذلك فعنده، أنه من باب تورية أولئك المتكلمون في العقليات الفاسدة، والتأويلات الحائدة هي التي أخرجت هؤلاء، إلى غاية الإلحاد ونهاية التكذيب للمرسلين، وفساد العقل[١٦٤].

٢- مجال البحث العقلي: لقد أطلقت الفلاسفة اليونان والمسلمون العنان للعقل في البحث في الطبيعة، وما وراء الطبيعة من الأمور الغيبية، دون أن تحجب العقل عن النظر في الغيب المطلق، فأهدرت طاقات العقل، ولم تصل إلى اليقين في ذلك، لذا يُشير شيخ الإسلام إلى الدور الوظيفي للعقل السليم، وهو الدور الذي كلفه الله به وجاء صريحاً في آيات القرآن، يقول رحمه الله: (على أن الوجوه والأساطين من هؤلاء الفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة مطالب الإلهية، وإذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه، ومن المعلوم للمؤمنين أن الله تعالى بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق).[١٦٥] فماذا سيأتي العقل عند حديثه عن الذات والصفات إذا لم يكن العقل يسير تحت مظلة النص الصحيح؟ فكيف بهم إذا كانت عقولهم القاصرة مريضة!

يقول رحمه الله: (وقاربهم طائفة من الفلاسفة وأتباعهم، فوصفوه بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات، وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن لا فيما خرج عنه من الموجودات وجعلوا الصفة هي الموصوف).[١٦٦] فأساطينهم معترفون بأنه لا سبيل لهم إلى اليقين فيها، وإنما يتكلمون فيها بالأولى والأخلق، وهم مع هذا متنازعون.[١٦٧]

٣- الأصول المذهبية للفلسفات: فخاض شيخ الإسلام مع الفلاسفة حرباً لا هوادة فيها، حيث هاجم نظرياتهم الفاسدة، وأبطل أصولهم التي قرروها من خلال عقولهم أسيرة الهوى، والبعيدة عن الحق سواء في الطبيعيات، أو الإلهيات، أو السمعيات وغير ذلك، ولعل الشاهد هنا على ذلك هو قضية الفيض عندهم، فلقد هاجمها رحمه الله بالبرهان بعد أن عرضها كما هي عندهم وأشار إلى مصادرهم، وجذور المسألة ومدى مخالفتها لصحيح المنقول وصريح المعقول، وما

فيها من إضافة للنقص والعجز للخالق – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً –. ومضمون هذه النظرية أن الله يعقل ذاته، فيفيض عنه عقل واحد بالعدد ممكن بذاته، واجب الوجود بغيره، وعندما يعقل هذا العقل مبدأه، يفيض عنه عقل ثان وهو العقل الكلي، وعندما يعقل ذاته بأنه واجب الوجود بغيره تفيض عنه نفس الفلك الأقصى، وعندما يعقل نفسه بأنه ممكن يصدر عنه جرم ذلك الفلك ويفيض عنه عقل ثالث، وهكذا يتسلسل إلى العقول العشرة. ويكاد يجمع الباحثون على أن الفارابي هو أول من قال بها في الفكر الإسلامي، يقول الفارابي:

(ويفيض عن الأول وجود الثاني، فهذا الثاني هو أيضاً جوهر غير متجسم أصلاً ولا هو في مادة، فهو يعقل ذاته ويعقل الأول...يلزم عنه وجود ثالث...وهو بجوهره عقل وهو يعقل ذاته ويعقل الأول...ويلزم عنه "وجود رابع" حتى العاشر في كرة القمر).[١٦٨]

يقول شيخ الإسلام: (ويقولون أن العقول التي يسميها من يتظاهر بالإسلام منهم الملائكة، يقولون: إنها متولدة من الله لم يخلقها بمشيئته وقدرته، ويقولون: إنها هي رب العالم، فالعقل الأول أبدع كل ما سوى الله عندهم، والثاني أبدع ما سوى الله والعقل الأول، حتى ينتهي الأمر إلى العقل العاشر الفعال المتعلق بفلك القمر، فيقولون: إنه أبدع ما تحت فلك القمر، فهو عندهم المبدِع لما تحت السماء من هواء وسحاب وجبال وحيوان ونبات ومعدن ومنه يفيض الوحي والعلم على الأنبياء وغيرهم، والخطاب الذي سمعه موسى عليه السلام إنما كان عندهم في نفسه لا في الخارج وهو فيض فاض عليه من هذا، والعقل الفعال ومنهم من يقول: جبريل).[١٦٩]
ولقد اعتمد شيخ الإسلام على صريح المعقول في الرد على الفلاسفة وأبطال نظرية الفيض والصدور، فأشار إلى أن أهل الملل ليس عندهم أحد غير الله يخلق جميع

المبدعات، ولا أنهم أثبتوا ملَكاً من الملائكة أبدع كل ما تحت السماء، بل الملائكة عندهم عباد الله ليس فيهم من هو مستقل بإحداث جميع الحوادث، فضلاً على أن يكون مبدعاً لكل ما سوى الله وسواه كما يقولون في العقل الأول، وبتقدير تلك العقول فهي عندهم لازمة لذات الله متولدة عنه، معلولة له، وحينئذ فالحوادث الحادثة لا تجوز أن تصدر عنها؛ لأن ذلك يتضمن حدوث حوادث بل سبب حادث، وكذلك فإن الواحد البسيط الذي يذكرونه إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان، وإن كان الصادر عنه واحداً لم يصدر عن الآخر إلا واحد، وكذلك هلم جرا، فيلزم أن لا يكون في الكثرة، وإن صدر عنه أكثر من واحد بطل أصلهم. ويخلص رحمه الله بعد نقاشهم إلى أن أقوالهم ليست مطابقة لما أخبرت به الرسل، كما هي ليست مطابقة لما دل عليه العقل الصريح، فلا هي موافقة للمنقول الصحيح ولا المعقول الصريح، ولكنهم يسفسطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات[١٧٠]. فتحذير السلف من الفلسفة إنما يوجه إلى ما خالف منها صريح المعقول وصحيح المنقول وهو كثير، لما فيه من أفكار شركية إلحادية وثنية وجدلية، وما يترتب على ذلك من شكوك وفتن وهدم لعقيدة التوحيد، علماً أن شيخ الإسلام قد أشار إلى سلامة بعض أقوال الفلاسفة. فالفلسفة إذا كانت حكمة كما كانوا يسمونها، فلا بد لها من معقول سليم، وما وجدنا معظم الفلاسفة عليه كان مخالفاً لذلك، من هنا فالقول السليم في ذلك هو بيان دور العقل السليم في هدم مثل تلك الفلسفات، وليس في ذلك مخالف منصف، فلماذا إذاً ينكر على شيخ الإسلام؟!

ولقد طال نقاشه لهم في كثير من المسائل أيضاً، كحديثه معهم في مسألة إثبات العلة الأولى (الخالق)، وكان نقاشه لهم قائم على أصول عقلية سليمة أثبت بها وجود الخالق وأزليته، فإن لم تكن العلة الأولى تامة في الأزل، فلا بد إذا وجد المفعول بعد ذلك متى تجدد سبب حادث، وإلا لزم من ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح، وإذا

كان هناك سبب حادث، فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الأول، ويلزم من ذلك التسلسل الممتنع باتفاق العقلاء.[١٧١]

ومما يلاحظ على منهج الشيخ رحمه الله أنه كان يتقن لغتهم، فرد عليهم بمنهجهم العقلي، ولكن مع الفارق فهو يرد بدلالة العقلي السليم. فناقشهم بالعديد من مسائل الطبيعيات كقدم العالم، والحركة، وحدوث الزمان والمكان والمادة، ومسألة الكون والفساد، والنفس وأحوالها. كما أكد على الدور الوظيفي للعقل في الجانب الخلقي للفرد، جاعلاً العقل مصدراً من مصادر الإلزام الخلقي، حيث أشار إلى أن العامل الفطري في الأخلاق هو المتمثل في فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي الفطر السوية التي لم تتكدر ولم تتعرض للتغيير والتبديل، والتي تعني سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان إلا مسلماً، وهناك العامل العقلي، ومعناه أن العقل له دوره في اختيار الاتجاه الخلقي للإنسان، فإن أخص خصائص العقل للإنسان أن يعلم ما ينفعه، ويفعله ويعلم ما يضره ويتركه[١٧٢]. وهكذا تظهر حجية العقل عنده رحمه الله، فللعقل القدرة على تمييز المنافع والمصالح.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

لم يكن السلف الصالح أعداء العقل وبراهينه اليقينية، بل هم أهل ذلك، لأنه لا يعارض ما هم عليه من أدلة نقلية صحيحة، فجاء لخطاب القرآني للعقول، دافعاً إياها للنظر والتفكر والاستنباط. ولم يكن شيخ الإسلام إلا أحد أولئك المتبعين للسلف، فأخذ بحجج العقل الصريحة، ووفق بينها وبين دلالة النص الصحيح، واحتج بها في المسائل الدينية كالإلهيات والنبوات والسمعيات والطبيعيات وغير ذلك، بشرط الالتزام بالنص، كما جادل بها أهل الشرائع السابقة والفرق الضالة والفلاسفة.

وجاءت هذه الدراسة النصية لمؤلفات شيخ الإسلام لبيان موقف الشيخ من العقل وبراهينه، وتدفع كل ما أُثير من شبه وتُهم حول منهجه ورده للدليل العقلي وإنكاره له. ويمكن إجمال أهم النتائج التي نوصل لها الباحث بعدة أمور، منها:

١- أن حديث القرآن عن العقل جاء لبيان الدور الوظيفي له وهو التكليف الشرعي دون الحديث عن كنه العقل ومادته ومكانه.

٢- أن خطاب الأنبياء عليهم السلام جاء بما يوافق صريح المعقول، فلم يأتوا بمحالات العقول، وإنما جاءوا بمحارات العقول، فهم أعقل البشر، ولو وزن عقل محمد صلى الله عليه وسلم بعقول أهل الأرض لرجح عقله صلى الله عليه وسلم.

٣- أن ابن تيمية رحمه الله لم يرفض العقل، ونظر إليه على أنه غريزة أودعها الله في الإنسان، ولكنه رفض مفهوم الفلاسفة للعقل على أنه جوهر مستقل، ورفض ما يترتب على ذلك.

٤- لا تعارض عند شيخ الإسلام بين صحيح المنقول وصريح المعقول، بل تتعاضد الأدلة السمعية والعقلية، فلا سلطة للعقل على النص، ولم يقل بقداسة النص

غير الصحيح، ورد دلالة العقل المريض، والقول كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل.

٥- أن التعارض بين الدلالتين العقلية الصريحة، والنقلية الصحيحة يظهر نتيجة شُبه عند الفرد المدرِك أو لآفة في إدراكه أو خطأ وعجز أو سفسطة وإلحاد وهوى.

٦- الأدلة العقلية السليمة هي أدلة شرعية ملزمة عند شيخ الإسلام، فهي حجة في العقائد (الإلهيات، والنبوات، والسمعيات) ببعض وجوهها.

٧- أن مقياس صحة أو فساد الاستدلال العقلي عند شيخ الإسلام يكون بمدى موافقته أو مخالفته لما جاء في النص.

٨- أن هجوم ابن تيمية على الفلاسفة لم يكن هجوماً على العقل والمعرفة العقلية، وإنما على ما قدموه من نظريات فاسدة مخالفة لأصول الدين وأحكامه كما هي مخالفة لصريح المعقول أيضاً، كنظرية الفيض والعقول العشرة، وقدم العالم وغيرها كثير، مشيراً إلى إهدارهم لقدرات العقل، وموضحاً لدور العقل ومجالاته في الوصول إلى صحيح المعارف والفنون.

٩- صون العقل عن البحث في مسائل الغيب المطلق التي ليست من مجالاته وقدراته، وليس ذلك عيباً في العقل، وإنما لكونها خارجة عن قدراته، لذا جاء التوظيف القرآني له في عالم المحسوس.

أهم التوصيات

١- دراسة مفردات العقائد بكل موضوعية ونزاهة، والبعد عن العصبية والمذهبية المقيتة، ونسبة الأقوال بهتاناً إلى بعض أعلام الإسلام، وهم منها براء، فلازم المذهب ليس بمذهب حتى يلتزم به صاحب المذهب.

٢- عمل دراسات مستقلة تُبين حجية العقل في كافة المجالات عند السلف الصالح عموماً كحجية العقل في العقائد والطبيعيات وغير ذلك، والاستعانة بالبرامج العلمية والمؤتمرات وكافة الوسائل المتاحة في بيان ذلك.

٣- عمل دراسات مقارنة بين مناهج الفلاسفة والمتكلمين في العقل ومعارفه وبراهينه، وبيان منهج القرآن في توظيف العقل وتكليفه، وبيان مدى الفارق بين منهج القرآن ومنهج المتكلمين، وخاصة فيما يترتب على ذلك من معارف.

الهوامش والتعليقات:

١ انظر:- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، الحقوق محفوظة، ١٩٩٣م، ج١، ص١٤٤-١٦٠.

- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، دائرة المعارف والعثمانية، ١٢٧٤هـ، ج٤، ص١٤٩٦-١٤٩٨.

- كحالة، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج١، ص١٦٣.

- الزركلي، خيرالله بن محمود بن محمد، (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت،ط٩، ١٩٩٠م، ج١، ص١٤٤.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، خرج أحاديثه الشيخ محمد بيومي وآخرون، مكتبة المنصورة، مصر، د.ت، مجلد٧، ج١٤، ص٣٣٧.

٢ ابن كثير، البداية والنهاية، مجلد٧، ج١٤، ٤٥٨.

٣ ابن كثير، البداية والنهاية، مجلد٧، ج١٤، ص٣٣٧.

٤ الذهبي، تذكرة الحفاظ، مجلد٤، ص ١٤٩٦.

٥ ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مجلد١، ص ١٤٥.

٦ المرجع السابق، مجلد١، ص ١٥١.

٧ ابن المنظور، محمد بن مكرم، ت (٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة وصححه أمين عبد الوهاب ومحمد العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م، مادة (عقل)، جزء٩،ص٣٢٦. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، عني بترتيبه السيد محمود خاطر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة،١٩٦٤م، ص٤٤٦.

٨ الحد: عند المنطقيين يطلق في باب التعريفات على القول الدال على ماهية الشيء، وينقسم إلى تام وناقص، وعند الأصوليين: ما يميز به الشيء عن غيره. انظر: الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، دار مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م، ص٢٨٠-٢٨١.

٩ الكندي: يعقوب بن إسحاق، فيلسوف العرب والإسلام، أحد أبناء ملوك كندة، ولد عام ١٨٥هـ، نشأ بالبصرة، أشتهر بالطب والفلك والفلسفة، له مؤلفات عديدة أشهرها رسائله الفلسفية. البيهقي، علي بن زيد (٥٦٥هـ)، تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق ممدوح حسن، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص ٥٢.

١٠ د. محمد أبو ريدة، رسائل الكندي الفلسفية، ص١٦٥.

١١ ابن سينا: أبو علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا البلخي، ولد سنة ٣٧٠هـ، لم يبلغ عشر سنين حتى أتم القرآن والآداب، وقرأ كتاب إيساغوجي، وله تصانيف كثيرة في الطب والإلهيات والمنطق، توفي سنة ٤٢٨هـ، انظر: القفطي، جمال الدين أبو الحسن بن علي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصر، ١٣٢٦هـ، ص٢٦٩.

١٢ - ابن سينا، أبي علي الحسين بن عبدالله، رسالة الحدود، نشرت ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات لابن سينا، مطبعة هندية بالموسكي، مصر، ط١، ١٩٠٨، ص٧٩-٨٠.

١٣ - الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، (ت٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق د. عبدالمنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٧٣-١٧٤.

١٤ لما كانت الدراسة نصية تحليلية كان لابد من الاستطراد بذكر نصوص الإمام في ذلك، ومن ثم عرضها وتحليلها.

١٥ ابن تيمية، الصفدية، ج٢، ص ٢٥٧.

١٦ ابن تيمية، الصفدية، ج٢، ص ٢٥٨.

١٧انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموعة الفتاوى، أعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار، وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط٢، ٢٠٠١م، مجلد ٥، ج٩، ص ١٤٥- ١٤٦.

١٨ انظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد ٥، ج٩، ص١٥٣.

١٩ رفيق العجم، معجم مصطلحات ابن تيمية، ص ٣٠٨.

٢٠ ابن تيمية، الفرقان، ص ٩٤ـ ٩٥.

٢١ انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص ٨٩. وقد أشار شيخ الإسلام رحمه الله إلى معاني العقل في كتابه

المسودة في أصول الفقه، تحقيق د. أحمد الذروي، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ٢٠٠١م، ص ٩٨١.

٢٢ ابن تيمية، الفرقان، ص ٩٤ـ ٩٥.

٢٣ ابن تيمية، الفرقان، ص٩٤-٩٥/ للمزيد انظر: العجم، رفيق، المصطلحات ابن تيمية، ص٣٠٩.

٢٤ أبو ريدة، محمد، رسائل الكندي الفلسفية، رسالة في حدود الأشياء، ص ١٦٦.

٢٥ ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص٢٤٠، رقم الصفحة بالنسخة الأولى بالهامش الجانبي ١٩٦.

٢٦ ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٥هـ، ص ٢٦٠.

٢٧ ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ص٢٦٠.

٢٨ ابن تيمية، بغية المرتاد، ص ٢٥٠.

٢٩ للمزيد انظر: الفارابي، مقالة في العقل، نشرت ضمن رسائل الفارابي، ص ١٠٣-١١٢، حيث ذكر تعريفات أرسطو للعقل.

٣٠ جاء عن الغزالي في تعريف العقل:

١- الغريزة التي يتهيأ بها الإنسان لدرك العلوم النظرية وتدبير الأمور الخفية.

٢- إطلاقه على بعض الأمور الضرورية، وهي التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات.

٣- إطلاقه على العلوم المستفادة من التجربة، فإن من حنكته التجارب يقال عنه: أنه عاقل، ومن لا يتصف بذلك يقال عنه غبي جاهل.

٤- إطلاقه على ما يوصل إلى ثمرة معرفة عواقب الأمور بقمع الشهوات الداعية إلى اللذات العاجلة التي تعقبها الندامة فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها (عاقلاً).

٥- إطلاقه على الهدوء والوقار، وهي هيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه، فيقال: فلان عاقل: أي عنده هدوء ورزانة.

المرجع : انظر: الغزالي، محمد أبي حامد، إحياء علوم الدين، دار الجيل، بيروت، المجلد الأول، ص ١١١- ١١٢.

٣١ ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، مجموعة الفتاوى، مجلد ٥، جزء ٩، ص ١٥٣.

٣٢ ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد ٥،ج ٩، ص ١٦٣.

٣٣ لعلها من محارات العقول، والتي ظهر فيها الخلاف قديماً وحديثاً، فمنهم من جعل محله الدماغ، ومنهم من جعل محله القلب، والأمر قائم على تصور اتصال العقل بالدماغ، ولعل الراجح في ذلك أن محله القلب وله اتصال بالدماغ.

٣٤ البخاري، صحيح البخاري، ٣٤ كتاب البيوع، باب الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما، ح ٢٠٥١ .مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، ٢٠ باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ح ١٥٩٩.

٣٥ ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد٥، ج٩، ص١٦٣.

٣٦ ابن تيمية، المسودة في أصل الفقه، ص ٩٨٢.

٣٧ سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا،٤٤٠٣ – سنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، طلاق المعتوه/ صححه الألباني، في صحيح ابن ماجة،ج١،ص ٣٤٧.

٣٨ عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٥٩٤-٥٩٥.

٣٩ انظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، بيروت، ج٤، ص٣٩٧.

٤٠ انظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، مجلد٢، ج٣، ص١٢٤.

٤١انظر: الرازي، التفسير الكبير، مجلد ٢، ج٣، ص ٤٣ -٤٤.

٤٢ انظر: المرجع السابق، مجلد٩، ج ١٨، ص ٦٨.

٤٣ الجليند، محمد السيد، قضية الألوهية بين الدين والفلسفة، ص ٥٠.

٤٤ ـ انظر: ابن تيمية، الفرقان، ص ٩٤- ٩٥.

٤٥ ـ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن فرج، الموضوعات،تحقيق د. محمد القيسية، مؤسسة النداء، أبو ظبي، ط٣، ٢٠٠٣م، باب في ذكر العقل، حديث رقم ١٣٦، ج٢، ص ٢١٧-٢١٨، وقال: حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد روي هذا الحديث من حديث علي، وأبي هريرة، وليس فيهما شيء يثبت. وقال أحمد بن حنبل : هذا الحديث موضوع ليس له أصل. وقال العقيلي: ولا يثبت في هذا المتن شيء. كما أشار رحمه الله تعالى إلى ضعف وكذب جملة من الأحاديث التي ذكرها بعض المتكلمين كالغزالي في كتابه الإحياء في العقل: الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار الجيل، مجلد١، ص ١٠٧- ١٠٨.

٤٦ ـ انظر: ابن تيمية، الفرقان، ص٩٤-٩٥. للمزيد انظر: ابن تيمية، بغية المرتاد، ص ١٧٣-١٧٨.

٤٧ الكتابات في ذلك كثيرة، انظر ما كتبه مراد وهبة في صحيفة الأهرام المصرية، في شهر أكتوبر، ٢٠٠٥م، تحت عنوان (وأد العقل) حيث صور الكاتب شيخ الإسلام (العدو اللدود) للفلسفة والمنطق، وهما عند الكاتب العقل.

٤٨ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٨، ص ٣٧.

٤٩ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٨، ص ٣٦-٣٧.

٥٠ المرجع السابق، ج١، ص ١١٧.

٥١ انظر : ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد٢، ج٣، ص٥٤-٥٥.

٥٢ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٨، ص ٣٠٤.

٥٣ البخاري، صحيح البخاري، ٢٣ كتاب الجنائز، ٩١ باب ما قيل في أولاد المسلمين، ح ١٣٨٥.

٥٤ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٥، ص ٣١٢.

٥٥ المرجع السابق، ج٧، ص ٤٣.

٥٦ الفرق: موضع المفرق من الرأس، ومعنى العبارة أعظم مما بين القدم والرأس.

٥٧ المرجع السابق، ج٥، ص٣١٢.

٥٨ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧، ص ٤٣.

٥٩ ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد٨، ج١٦، ص ٢٥٩.

٦٠ ابن تيمية، المرجع السابق، مجلد ٨، ج١٦، ص ٢٥٥.

٦١ ابن تيمية، الصفدية، ج٢، ص ١٥٧.

٦٢ انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٨، ص ٩١.

٦٣ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٨، ص ٩١.

٦٤ ابن تيمية، الصفدية، ج١، ص ٢٢٧.

٦٥ انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص ٩٢-٩٣.

٦٦ انظر: المرجع السابق، ج٥، ص ٣١٩.

٦٧ المرجع السابق، ج١، ص ٧٩.

٦٨ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن فرج، الموضوعات،تحقيق د. محمد القيسية، مؤسسة النداء، أبو ظبي، ط٣، ٢٠٠٣م،كتاب التوحيد، باب في أن الله عز وجل قديم، حديث رقم ١، مجلد٢، ص١٢١. قال: هذا حديث لا يشك في وضعه، وما وضع مثل هذا مسلم، وإنه لمن أرَكِّ الموضوعات وأبردها، إذ هو مستحيل لأن الخالق لا يخلق نفسه.

٦٩ مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة المريض، ح ٢٥٦٩.

٧٠ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص ١٤٨- ١٥٠.

٧١ المرجع السابق، ج٦، ص ٥.

٧٢ المرجع السابق، ج١، ص ١٨٩.

٧٣انظر: المرجع السابق، ج٧، ص ٣٩.

٧٤ الجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي السمرقندي، المتكلم أُس الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، وكان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، قتل سنة ١٢٨ه. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٩٦م، ج٦، ص ٢٦-٢٧.

٧٥ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧، ص ٨٤.

٧٦ المعتزلة: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، نشأت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في أواخر العصر العباسي، واعتمدت على العقل في فهم العقيدة، من أبرز رجالها: واصل بن عطاء، أبو الهذيل، النظام، ومن أشهر أصولها: القول بخلق القرآن، نفي أزلية الصفات الإلهية. انظر: الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ص ٦٣.

٧٧ ابن تيمية، منهاج السنة، ج١، ص ٣٠١.

٧٨ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٤، ص ٢٧٨.

٧٩ الفارابي: أبو نصر محمد بن أوزلغ بن طرخان، ولد في مدينة فاراب من بلاد الترك سنة ٢٦٠هـ، يلقب بالمعلم الثاني، طبيب، فيلسوف، موسيقي، له تصانيف كثيرة في معظم العلوم، توفي سنة ٣٣٩ه. انظر: كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج٣، ص ٦٢٨. البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام، ص ٤١.

٨٠ قدم العالم: القديم بحسب الذات: وهو الذي ليس لذاته مبدأ وعلة هو به موجود.

والقديم بحسب الزمان: هو الذي لا أول لزمان وجوده. انظر: الغزالي، محمد بن محمد، معيار العلم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م. وقدم العالم من أشهر مسائل فلسفة أرسطو، وأن العالم قديم بالذات، أي ليس له خالق. وحاولت الفلاسفة المسلمين، التوفيق بين هذا الرأي، وبين النص الديني في ذلك، فقالوا أن العالم قديم بالزمان، أي أنه مخلوق لله عز وجل ولكنه قديم بالزمان، فكان الله وكان عالم، لذا وصف هذا الرأي بالمحاولة التلفيقية وليست توفيقية، وتبين فساد ذلك وعوره، حيث كان الله ولا عالم ثم خلق سبحانه العالم بإرادته وقدرته، يخلق ما يشاء سبحانه.

٨١ ابن تيمية، منهاج السنة، ج١، ص ٢٩٩- ٣٠٠.

٨٢ انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص ١٥١.

٨٣ ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص٢٦٨.

٨٤ انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٥، ص ٣١٤.

٨٥ انظر: المرجع السابق، ج٥، ص ٢٩٦- ٢٩٧.

٨٦ المرجع السابق، ج١، ص ١٨٧.

٨٧ انظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد ٢، ج٣، ص ٢١٠.

٨٨ ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد ٣، ج٥، ص ٢١.

٨٩ انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٤، ص ٢٣٦.

٩٠ قعدان، زيدان عبد الفتاح، المعجم الإسلامي، دار أسامة، الأردن، ط١، ٢٠١٢، ج٣، ص ١٣٦٩.

٩١ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص ١٤٧.

٩٢ المرجع السابق، ج١، ص ١٨٧.

٩٣ ابن تيمية، الأسماء والصفات، ج١، ص ٣١.

٩٤ البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ح ٣٢٧٦. مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان وما يقول من وجدها، ح ١٣٤.

٩٥ انظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد٨، ج١٦، ص٢٤٦

٩٦ابن تيمية، التدمرية، ص٢٠..

٩٧ انظر: ابن تيمية، الصفدية، ج٢، ص١٥٦- ١٥٧.

٩٨ انظر: المرجع السابق، ج١، ص٢٢٧.

٩٩ ابن تيمية، الصفدية، ج٢، ص ١٧٠.

١٠٠ أرسطو: ٣٨٤ق.م- ٣٢٢ق.م تقريباً، ولد في مقدونيا، مات أبوه وهو صغير، أُرسل إلى أثينا وتعلم فيها، وكان فيلسوف الروم، وسمي بالمعلم الأول، وأساس فلسفته المحسوسات والمشاهدات، وله مؤلفات بمعظم العلوم. انظر: القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢١.

١٠١ ابن تيمية، درء تعارض العفل والنقل،ج٨، ص ٥١٦

١٠٢ ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد ٣، ج٥، ص ٢١.

١٠٣ ابن تيمية، التدمرية، ص ١٤٩.

١٠٤ انظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد ٢، ج٣، ص ٥٤.

١٠٥ انظر: ابن تيمية، التدمرية، ص ١٥١.

١٠٦ انظر: ابن تيمية، الصفدية، ج٢، ص٣٧- ٣٨.

١٠٧ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٤، ص ٦-٨.

١٠٨ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص ١٦-١٧.

١٠٩ انظر: ابن تيمية، تفسير سورة الإخلاص، ص ٩٤.

١١٠ انظر: ابن تيمية، النبوات، ص ٣٨٦.

١١١ انظر: ابن تيمية، الصفدية، ج١، ص ١٥٧.

١١٢ ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد٨، ج١٦، ص ٢٤٥.

١١٣ ابن تيمية، النبوات، ص ٢١٤.

١١٤ انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٨، ص ٥١٣.

١١٥ ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص ٤٩٩.

١١٦ انظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، جزء ١٠، ص ١٧٣.

١١٧ انظر: المرجع السابق، جزء٤، ص ١٠٢.

١١٨ المرجع السابق، جزء ٤، ص ١٢٦.

١١٩ انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، مجلد٥، ص ١٦٠، فصل: طرق العلم ببشارة الأنبياء بمحمد عليهم الصلاة السلام.

١٢٠ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص ٨٨.

١٢١ ابن تيمية، تفسير سورة الإخلاص، ص ٩٤.

١٢٢ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ما بين النفختين، ح ٢٩٥٥..

١٢٣ العجم، توفيق، موسوعة مصطلحات ابن تيمية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٥٢٠.

١٢٤ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل،ج١،ص١٧.

١٢٥ ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ١٩٦- ١٩٨.

١٢٦ انظر: ابن تيمية، الفرقان، ٩٣-٩٤.

١٢٧ انظر: ابن تيمية، تفسير سورة الإخلاص، ص ٩٤.

١٢٨ ابن تيمية، الصفدية، ج١، ص ١٩٣.

١٢٩ ابن تيمية، الأسماء والصفات،ج١،ص٣١.

١٣٠ ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، مجلد٢، ج٣، ص ١٠٨.

١٣١وقد سبق بيان ذلك في المبحث التمهيدي.

١٣٢ الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، منشورات المكتب الإسلامي، حديث رقم ٤٥، مجلد ١، ص ٧٥،وقال: إسناده حسن. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وابن عجلان، وإنما أخرج له مسلم مقروناً بغيره. وقال ابن عبد البر: هو حديث صحيح متصل. رواه الحكم في المستدرك، ج٢، ص ٦١٣.

١٣٣ انظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق د. محمد السيد الجليند، دار المجتمع، جدة، ط٢، ١٩٨٦م، ص ٢٥.

١٣٤ انظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، ج٢٨، ص ١٢٦.

١٣٥ ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٣٧.

١٣٦ انظر: ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٣٣.

١٣٧ انظر: المرجع السابق، ص ٣٢.

١٣٨ المرجع السابق، ص ٣١.

١٣٩ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨هـ، الرسالة القبرصية، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٦م، المقدمة ص ٩.

١٤٠ الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: حديث حسن صحيح، رقم الحديث ٢٦٤٠. أبي داود، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم٤٥٩٦. ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم. الألباني، السلسلة الصحيحة، ج١، ص ٣٥٨، حديث ٢٠٣. يقول ابن تيمية: حديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد، منهاج السنة النبوية،ج٣، ص٤٤٣.

١٤١ ابن تيمية، درء العقل والنقل، ج١، ص٢٤٢.

١٤٢ انظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى،مجلد٢، ج٣، ص ١٥٥.

١٤٣ انظر: المرجع السابق، مجلد ٣،ج٥، ص ٢١-٢٢.

١٤٤ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧، ص ١٤٩.

١٤٥ انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧، ص ٨٤-٨٥.

١٤٦ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، الجواب الصحيح، تحقيق د. علي بن حسن، وآخرون، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤هـ، مجلد ١، ص ١٠٤.

١٤٧ المرجع السابق، مجلد ٣، ص ٤٧١- ٤٧٢.

١٤٨ ابن تيمية، الجواب الصحيح، تحقيق د. علي بن حسن، وآخرون، مجلد ٣، ص ٢٩٩.

١٤٩ ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، الجواب الصحيح، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، مجلد٢، ج٣، ص ٤٤.

١٥٠ المرجع السابق، مجلد٢، ج٣، ص ٥٦.

١٥١ المرجع السابق، مجلد٢، ج٣، ص ٩١.

١٥٢ ابن تيمية، الجواب الصحيح، تحقيق د. علي بن حسن، وآخرون، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤هـ، مجلد ٢، ص ٤٨.

١٥٣ ابن تيمية، الجواب الصحيح، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، مجلد١، ج٢، ص ٧٩.

١٥٤ انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، تحقيق د. علي بن حسن، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، مجلد٣، ص٤٧١.

١٥٥ ابن تيمية، الجواب الصحيح، تحقيق د. علي بن حسن، وآخرون، مجلد ١، ص ٣٧٩.

١٥٦ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص ١٥٧-١٥٨.

١٥٧ ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص١٨٦، رقم الصفحة بالنسخة الأولى بالهامش الجانبي ١٤٣.

١٥٨ انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج١، ص ٢٩٩- ٣٠٠.

١٥٩ ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج١، ٣٠١.

١٦٠ انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧، ص ٤٢.

١٦١ انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧، ص ٣٩- ٤٠.

١٦٢ ابن تيمية، تفسير سورة الإخلاص، تقديم د. محمد خفاجي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ص ٦٠ – ٦١.

١٦٣ ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص ٢٦٨.

١٦٤ ابن تيمية، الصفدية، ج١، ص ٢٧٦-٢٧٧.

١٦٥ ابن تيمية، الأسماء والصفات، ج١، ص ٣١.

١٦٦ ابن تيمية، التدمرية، ص ١٧.

١٦٧ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧، ص٤٢.

١٦٨ الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ٢٤.

١٦٩ ابن تيمية، الصفدية، ج١، ص ٨.

١٧٠ انظر: ابن تيمية، الصفدية، ج١، ص ١٥٦-١٦٠. ابن تيمية، بغية المرتاد، ص ٢٤١- ٢٤٢.

١٧١ انظر: ابن تيمية، الصفدية، ج١، ص ١٠.

١٧٢ انظر: ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص ٤٢٩.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت.

٢- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، مجموعة الفتاوى، أعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار، وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط٢، ٢٠٠١م.

٣- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط١، ١٩٨٦م.

٤- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، الرسالة القبرصية، دار المدني، جدة، ط١، ١٩٨٦م.

٥- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، التدمرية، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكات، الرياض، ط٨، ٢٠٠٣م.

٦- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، الرد على المنطقيين، حققه الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتبي، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٧- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، الفرقان، ضبطه محمد بن رياض، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٨- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، الرسالة الأكملية فيما يجب لله من صفات الكمال، قدم لها أحمد حمدي إمام، دار المدني، جدة، ١٩٨٣م.

٩- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طباعة إدارة الثقافة بجامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٩٩١م.

١٠- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، الأسماء والصفات، تحقيق محمد سيد، دار الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

١١- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، مجموعة الرسائل والمسائل، خرج أحاديثه وضبطه حياة مأمون شيحا، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٢- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، الصفدية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٣- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، النبوات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٤- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، شرح العقيدة الأصفهانية، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١٥- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق د. محمد السيد الجليند، دار المجتمع، جدة، ط٢، ١٩٨٦م.

١٦- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٥هـ.

١٧- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، الجواب الصحيح، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

١٨- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، تفسير سورة الإخلاص، تقديم د. محمد خفاجي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.

١٩- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن فرج، الموضوعات، تحقيق د. محمد القيسية، مؤسسة النداء، أبو ظبي، ط٣، ٢٠٠٣م.

٢٠- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، ت٨٥٢هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

٢١- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، ت٨٥٢هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيت الأفكار، الرياض، ٢٠٠٠م.

٢٢- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، رسالة الحدود، نُشرت ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، مطبعة هندية بالموسكي، مصر، ط١، ١٩٠٨م.

٢٣- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ت٧٧٤هـ، البداية والنهاية، خرج أحاديثه الشيخ محمد بيومي، وآخرون، مكتبة المنصورة، مصر، د.ت.

٢٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ت٧٧٤هـ، تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٢٥- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، ت ٧١١هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٦- أبو ريدة، محمد عبد الهادي، رسائل الكندي الفلسفية، دار الفكر العربي، ١٩٥٠م.
٢٧- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، ت٨١٦هـ، التعريفات، تحقيق د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩١م.
٢٨- الجليند، محمد السيد، قضية الألوهية بين الدين والفلسفة، دار الهاني، القاهرة،٢٠٠٤م.
٢٩- الجليند، محمد السيد، الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، دار قباء، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٠م.
٣٠- الجليند، محمد السيد، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، دار قباء، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
٣١- الجليند، محمد السيد، دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، جمع وتقديم وتحقيق د. محمد السيد الجليند، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م.
٣٢- الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، دار مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.
٣٣- حلمي، مصطفى، معرفة الله عز وجل وطريق الوصول إليها عند ابن تيمية، دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٥م.
٣٤- خليفة، فريال حسن، أهمية العقل، مكتبة الأسرة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
٣٥- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٤هـ.
٣٦- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٩٦م.
٣٧- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ت٦٠٤هـ، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٣٨- الزركلي، خير الله بن محمود بن محمد، الأعلام، دار العلم، للملايين، بيروت، ط٩، ١٩٩٠م.
٣٩- الزين، محمد حسني، منطق ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
٤٠- الزعبي، أنور خالد، واقعية ابن تيمية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان،ط١، ٢٠٠٣م.
٤١- الطبلاوي، محمد سعد، موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد، مكتبة الأمانة، شبرا، ط١، ١٩٨٩م.

٤٢- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.
٤٣- العثيميين، محمد بن صالح، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار البصيرة، الإسكندرية، ط٢، ١٩٩٨م.
٤٤- العجم، رفيق، موسوعة مصطلحات ابن تيمية، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٤٥- العلواني، طه جابر، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨١م.
٤٦- الغزالي، محمد بن محمد، معيار العلم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م.
٤٧- الفارابي، أبي نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ، رسالة في معاني العقل، نُشرت ضمن رسائل الفارابي، سلسلة التراث، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٤٨- الفارابي، أبي نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ، آراء أهل المدينة الفاضلة، مطبعة حجازي، القاهرة، ط٢، ١٩٤٨م.
٤٩- فؤاد، عبد الفتاح أحمد، ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠١م.
٥٠- قعدان، زيدان عبد الفتاح، المعجم الإسلامي، دار أسامة، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.
٥١- القفطي، جمال الدين أبو الحسن بن علي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصر، ١٣٢٦هـ.
٥٢- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
٥٣- الكردي، راجح عبد الحميد، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، السعودية، ط١، ١٩٩٢م.
٥٤- النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف، ت٦٧٦هـ، شرح صحيح مسلم، ضبط وتوثيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
٥٥- هراس، محمد خليل، ابن تيمية السلفي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، المطبعة اليوسفية، طنطا، ط١، ١٩٥٢م.